التفريغ غير مراجع من قبل د. مطلق الجاسر

﴿شرح متن الأربعين النووية﴾

لفضيلة الشيخ الدكتور

مطلق الجاسر

حفظه الله

المجلس الأول

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين
سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

بسم الله الرحمن الرحيم.. الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد،

فهذا هو المجلس الأول من مجالس التعليق على هذا المتن المبارك وهو متن «الأربعون النووية»، تأليف الإمام أبي زكريا يحيى بن شرف النووي رحمه الله تعالى، وبالإضافة إلى تتمة الحافظ بن رجب الحنبلي رحمه الله على هذه الأربعين، فيصير مجموع الأحاديث خمسون حديثًا.

ولن يكون الشرح مطولًا لأن المدة المقررة لشرح هذا المتن مدةٌ وجيزة، فبإذن الله سننجزه في خمسة أيام، لذلك سيكون الشرح مركزًا ومختصرًا ويعني لا إطناب فيه.

قال رحمه الله تعالى: «بسم الله الرحمن الرحيم.. الحَمْدُ للَّهِ رَبِّ العَالمِينَ، قيومِ السَّماوَاتِ وَالأَرَضِينَ، مُدبِّرِ الخَلائِقِ أَجْمَعِينَ»، هذه مقدمة المصنف رحمه الله، قال: «بَاعِثِ الرُّسُلِ صَلَوَاتُهُ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِم إلَى الْمُكَلَّفِينَ؛ بِهِدَايَتِهِمْ وَبيَانِ شَرَائِعِ الدِّينِ، بالدَّلَائلِ الْقَطْعِيَّةِ وَوَاضِحَاتِ الْبَرَاهِينِ، أَحْمَدُهُ عَلَى جَمِيعِ نِعَمِهِ، وَأَسْأَلُهُ الْمَزِيدَ مِنْ فَضْلِهِ وَكَرَمِهِ، وَأَشْهدُ أَنْ لَا إلَهَ إلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ، الْكَرِيمُ الْغَفَّارُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَحبِيبُهُ وَخَلِيلُهُ، أَفْضَلُ المَخْلُوقِينَ، المُكَرَّمُ بالْقرآنِ الْعَزِيزِ».

«الْقرآنِ الْعَزِيزِ» العزيز إما من: عزَّ يَعِزُّ بمعنى: ندر، من العزة بمعنى: الندرة، أو من عزَّ يَعُزُّ بالضم بمعنى: غلب، وكلاهما من صفات القرآن؛ فالقرآن نادر لا يأتي أحدٌ بمثله، وهو غالبٌ أيضًا، فهو عزيزٌ بمعنى: لا مثيل له، وعزيزٌ بمعنى: قوي.

«المُكَرَّمُ بالْقرآنِ الْعَزِيزِ الْمُعجِزَةِ الْمُسْتَمِرَّةِ عَلَى تَعَاقُبِ السِّنِينَ، وَبِالسُّنَنِ الْمُستَنِيرَةِ لِلْمُسْتَرشِدِينَ، الْمَخْصُوصُ بِجَوَامِعِ الْكَلِمِ»، وهذا من براعة استهلال المصنف رحمه الله، وبراعة الاستهلال أن يشير المؤلف في مقدمة كتابه إلى ما يتعلق بموضوع الكتاب؛ فإن موضوع الكتاب: الأحاديث الأربعون التي هي من جوامع الكلم، فأشار في سياق صلاته على النبي صلى الله عليه وسلم أنه عليه الصلاة والسلام قد خُصَّ بجوامع الكلم، وهذا قد قاله عليه الصلاة والسلام؛ حيث قال: «وَأُوتِيتُ جَوَامِعَ الكَلِمِ»

«وَسَمَاحَةِ الدِّينِ، صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ وَعَلَى سَائرِ النَّبِيِّينَ وَالْمُرسَلِينَ، وَآلِ كُلٍّ وَسَائِرِ

الصَّالحِينَ، أَمَّا بَعْدُ: فَقَدْ رَوَيْنَا عَنْ عَليِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ».

«رَوَيْنَا» تُروى بهذه الصيغة «رَوَيْنَا»، وتُروى: «رُوِيْنَا» بالتسهيل، وتروى أو تُقال: «رُوِّيْنَا»، وكلها بمعنىً واحد إن شاء الله.

«عَنْ عَليِّ»، «رُوِيْنَا» يعني روى لنا علماؤنا، «عَنْ عَليِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ وَمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، وَأَبِي الدَّرْدَاءِ، وَابْنِ عُمَرَ، وَابْنِ عَبَّاسٍ، وَأَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ، وَأَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ تعالى عَنْهُمْ أجمعين مِنْ طُرُقٍ كَثِيرَاتٍ بِرِوَايَاتٍ مُتَنَوِّعَاتٍ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ حَفِظَ عَلَى أُمَّتِي أَرْبَعِينَ حَدِيثًا مِنْ أَمْرِ دِينِهَا بَعَثَهُ اللهُ تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي زُمْرَةِ الْفُقَهَاءِ وَالْعُلَمَاءِ»، وَفِي رِوَايَةٍ: «بَعَثَهُ الله تعالى فَقِيهًا عَالِمًا»، وَفِي رِوَايَةِ أَبِي الدرداء: «وَكُنْتُ لَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ شَافِعًا وَشَهِيدًا»، وَفِي رِوَايَةِ ابن مسعودٍ: «قِيلَ لَهُ ادْخُلْ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الجَنَّةِ شِئْتَ»، وَفِي رِوَايَةِ ابْنِ عُمَرَ: «كُتِبَ فِي زُمْرَةِ الْعُلَمَاءِ، وَحُشِرَ فِي زُمْرَةِ الشُّهَدَاءِ». واتَّفَقَ الْحُفَّاظُ عَلَى أَنَّهُ حَدِيثٌ ضَعِيفٌ وَإِنْ كَثُرَتْ طُرُقُهُ.

وَقَدْ صَنَّفَ الْعُلَمَاءُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ فِي هَذَا الْبَابِ مَا لَا يُحْصَى مِنَ الْمُصَنَّفَاتِ»، يعني في الأربعينات التي تجمع الأحاديث الأربعين، «فَأَوَّلُ مَنْ عَلِمْتُهُ صَنَّفَ فِيهِ: عَبْدُ اللَّهِ بنُ المُبَارَك، ثُمَّ مُحَمَّدُ بْنُ أَسْلَمَ الطُّوسِيُّ الْعَالِمُ الرَّبَّانِيُّ، ثُمَّ الحَسَنُ بْنُ سُفْيَانَ النَّسَوِيُّ، وَأَبُو بَكْرٍ الآجُرِّيُّ، وَأَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الأَصْفَهَانِيُّ، وَالدَّارَقُطْنِيُّ، وَالْحَاكِمُ، وَأَبُو نُعَيْمٍ، وَأَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيُّ، وَأَبُو سَعِيدٍ الْمَالِينِيُّ، وَأَبُو عُثْمَانَ الصَّابُونِيُّ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ الأَنْصَارِيُّ، وَأَبُو بَكْرٍ الْبَيْهَقِيُّ، وَخَلَائِقُ لَا يُحْصَونَ مِنَ الْمُتَقَدِّمِينَ وَالْمُتَأَخِّرِينَ

وَقَدِ اسْتَخَرْتُ اللَّهَ تَعَالَى فِي جَمْعِ أَرْبَعِينَ حَدِيثًا؛ اقْتِدَاءً بِهَؤُلَاءِ الأَئِمَّةِ الأَعْلَامِ، وَحُفَّاظِ الإِسْلَامِ»، فبيَّن المؤلف رحمه الله أنه جمع هذه الأربعين اقتداءً بهؤلاء الأئمة.

قال: «وَقَدِ اتَّفَقَ العُلَمَاءُ عَلَى جَوَازِ الْعَمَلِ بِالْحَدِيثِ الضَّعِيفِ فِي فَضَائِلِ الأَعْمَالِ»، طبعًا فضائل الأعمال مثل مثلًا الحث على صلاة الضحى أو نحوها، صلاة الضحى مشروعةً قطعًا بالأحاديث الصحيحة، فإذا جاء حديثٌ ضعيفٌ في فضل صلاة الضحى مثلًا فلا بأس بأن يقرأه

الإنسان وأن مثلًا يتدارسه؛ لأن أصل صلاة الضحى إيش؟ مشروع. واضح؟ فلا بأس بذلك ما لم يوهم الناس أن هذا الحديث حديثٌ صحيح.

«وَمَع هَذَا فَلَيْسَ اعْتِمَادِي عَلَى هَذَا الْحَدِيثِ، بَلْ عَلَى قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ: «لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ مِنكُمُ الغَائِبَ»، وَقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «نَضَّرَ اللَّهُ امْرَءًا سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَعَاهَا، فَأَدَّاهَا كَمَا سَمِعَهَا».

ثُمَّ مِنَ الْعُلَمَاءِ مَنْ جَمَعَ الأَرْبَعِينَ فِي أُصُولِ الدِّينِ، وَبَعْضُهُمْ فِي الْفُرُوعِ، وَبَعْضُهُمْ فِي الْجِهَادِ، وَبَعْضُهُمْ فِي الزُّهْدِ، وَبَعْضُهُمْ فِي الآدَابِ، وَبَعْضُهُمْ فِي الْخُطَبِ، وَكُلُّهَا مَقَاصِدُ صَالِحَةٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْ قَاصِدِيهَا.

وَقَدْ رَأَيْتُ جَمْعَ أَرْبَعِينَ أَهَمَّ مِنْ هَذَا كُلِّهِ؛ وَهِيَ أَرْبَعُونَ حَدِيثًا مُشْتَمِلَةً عَلَى جَمِيعِ ذَلِكَ، وَكُلُّ حَدِيثٍ مِنْهَا قَاعِدَةٌ عَظِيمَةٌ مِنْ قَوَاعِدِ الدِّينِ».

إذًا بيَّن المصنف رحمه الله أن هذه الأحاديث الأربعون كل واحدٍ منها عبارة عن قاعدة من قواعد الدين الكبرى.

«وَقَدْ وَصَفَهُ الْعُلَمَاءُ بِأَنَّ مَدَارَ الإِسْلَامِ عَلَيْهِ أَوْ هُوَ نِصْفُ الإِسْلَامِ أَوْ ثُلُثُهُ أَوْ نَحْوُ ذَلِكَ ثُمَّ أَلْتَزِمُ فِي هَذِهِ الأَرْبَعِينَ أَنْ تَكُونَ صَحِيحَةً وَمُعْظَمُهَا فِي «صَحِيحَي الْبُخَارِي وَمُسْلِمٍ»، وَأَذْكُرُهَا مَحْذُوفَةَ الأَسَانِيدِ؛ لِيَسْهُلَ حِفْظُهَا وَيَعُمَّ الانْتِفَاعُ بِهَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى».

وقد حقق الله مراد المصنف؛ فإن هذه الأربعين منذ صنفها مؤلفها رحمه الله وهي في انتشار ولا يُحصى كم من شارحٍ لها؟ وكم من حافظٍ لها؟ وكم من معتنٍ بها؟ وهذا إن دلَّ على شيءٍ فإنما يدل على إخلاص مصنفها رحمه الله تعالى، كما الشأن في بقية كتبه أيضًا رحمه الله.

قال: «ثُمَّ أتبعُهَا بِبَابٍ فِي ضَبْطِ خَفِيِّ أَلْفَاظِهَا

وَيَنْبَغِي لِكُلِّ رَاغِبٍ فِي الآخِرَةِ أَنْ يَعْرِفَ هَذِهِ الأَحَادِيثَ؛ لِمَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ مِنَ الْمُهِمَّاتِ، وَاحْتَوَتْ عَلَيْهِ مِنَ التَّنْبِيهِ عَلَى جَمِيعِ الطَّاعَاتِ، وَذَلِكَ ظَاهِرٌ لِمَنْ تَدَبَّرَهُ.

وَعَلَى اللَّهِ الْكَرِيمِ اعْتِمَادِي، وَإِلَيْهِ تَفْوِيضِي وَاسْتِنَادِي، وَلَهُ الْحَمْدُ وَالنِّعْمَةُ، وَبِهِ التَّوْفِيقُ

وَالْعِصْمَةُ».

نبدأ الآن بالحديث الأول.

قال رحمه الله: «عَنْ أمير المؤمنين أبي حفص عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا أَوِ امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ» رَوَاهُ إِمَامَا الْمُحَدِّثِينَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ بَرْدِزْبَهْ الْبُخَارِيُّ، وَأَبُو الْحُسَيْنِ مُسْلِمُ بْنُ الْحَجَّاجِ بْنِ مُسلِمٍ الْقُشَيْرِيُّ النَّيْسَابُورِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي صَحِيحَيْهِمَا اللَّذَيْنِ هُمَا أَصَحُّ الْكُتُبِ الْمُصَنَّفَةِ».

«**عَنْ أمير المؤمنين**»، أمير المؤمنين لقبٌ أول من لُقِّب به عبد الله بن جحش رضي الله عنه، وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم بعثه في سرية وأمَّره عليها فقال له أصحابه: بم نناديك؟ فقال: أنتم المؤمنون وأنا أميركم. فنادوه بـ«أمير المؤمنين»، فهو أول من لُقِّب بهذا اللقب.

أما أول من لُقِّب بهذا القلب من الخلفاء فهو عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه، أبي حفص عمر بن الخطاب رضي الله عنه الصحابي الجليل ثاني أفضل الصحابة بعد أبي بكر رضي الله عنهما المبشَّر بالجنة، وفضائله ومناقبه عديدةٌ جدًا رضي الله عنه.

«**قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ**»، وهذا الحديث لم يروه من الصحابة إلا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، لم يروه غيره من الصحابة.

قال: «**إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ**»، «الأعمال» جمع عمل، والعمل: كل ما يأتيه المسلم، سواءٌ بلسانه أو بجوارحه أو بقلبه، «بالنيات»، هذه «إنما الأعمال».. «إنما» قال بعض أهل العلم: تدل على الحصر، وقال آخرون: بل تدل على التوكيد، وهذا أقرب، أحيانًا تأتي «إنما» للحصر ولكن ليس دائمًا، وهنا المقصود بها التأكيد.

و«الأعمال» مبتدأ وخبرها محذوف، أما قوله عليه الصلاة والسلام: «بالنيات» فهذا ليس خبرًا؛ وإنما هذا جار ومجرور متعلق بالخبر.

طيب ما خبره؟ خبره مقدَّر، «الأعمال» ما لها؟ قال كثير من العلماء.. أكثر العلماء قالوا:

«إنما الأعمال صحتها بالنيات». واضح؟ فيصير المعنى: إنما تصحُّ الأعمال بالنيات، أو: صحة الأعمال كائنةٌ بالنيات، يعني أن العمل لا يكون صحيحًا إلا إذا كانت نيته صالحةً قاصدًا به وجه الله.

وقال بعض أهل العلم، وهم الأقل، أن المقصود: كمال الأعمال بالنيات وليس صحة الأعمال.

وعلى كل حال الصواب أن المقصود أن «إنما الأعمال» أي: صحة الأعمال، فلا تكون الأعمال صحيحةً إلا بالنيات.

«**وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى**»، هنا هناك مضافٌ محذوف، يعني المقصود: «**إِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ جزاء مَا نَوَى**»، فكلمة «جزاء» محذوفة. واضح؟ والمقصود أن الإنسان إذا نوى شيئًا فإنه يأخذ جزاء ما نواه، إن خيرًا فخير وإن شرًا فشر.

ونستفيد من ذلك من قوله عليه الصلاة والسلام: «**وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى**» أي: جزاء ما نوى أن الإنسان إذا نوى الخير ثم صُدَّ عنه فإنه يأخذ جزائه ويؤجر عليه كأنه عمله، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «مَن هَمَّ بحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً»

كذلك إذا نوى الإنسان الخير وكان نيته الخير فإنه يُؤجر ولو تعددت نيته، فلو قام بفعلٍ واحد ونوى بهذا الفعل الواحد عدة نوايا يؤجر على قدر نواياه، فمثلًا: إذا زار الإنسان قريبًا له وهذا القريب مريض مثلًا فنوى أنها صلة رحم ونوى أنها عيادة مريض ونوى إدخال السرور مثلًا ونوى غير ذلك مثلًا تعليم علم أو نحو ذلك فإنه على قدر ما ينوي في هذه الزيارة وهو عمل واحد يؤجر على قدر نيته، وهذا معنى قوله عليه الصلاة والسلام: «**وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى**»، كثرت نيتك أو قَلَّتْ.

قال: «**فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ**»، الفاء هنا للتفريع، يعني: كأنه عليه الصلاة والسلام قال: إذا علمنا ذلك وإذا استقر عندنا أَنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَأَنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى فيتفرع على ذلك أو ينبني على ذلك أن من هاجر إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله.

والهجرة أحد الأعمال الصالحة، ولماذا خصَّ النبي صلى الله عليه وسلم الهجرة بالتمثيل رغم أنه كان بإمكانه عليه الصلاة والسلام أن يضرب أمثلةً أخرى؟

الجواب: أن هذا الحديث له سببٌ وله قصة وذلك أن رجلًا هاجر من مكة إلى المدينة وذلك ليتزوج امرأةً يقال لها أم قيس، وهي امرأةٌ من المسلمين خطبها رجل في مكة فقالت له: لا أتزوجك إلا إذا هاجرت إلى المدينة، فهاجر من أجلها، فاشتُهر هذا الرجل باسم: «مهاجر أم قيس»، وهذا هو الذي دفع النبي صلى الله عليه وسلم لضرب المثل به وهو الهجرة.

و«الهجرة» في اللغة: الترك، هجرت الشيء أي: تركته، و«الهجرة» في الشرع هو: الانتقال إلى محلٍ يرضاه الله تعالى عن محلٍ يبغضه الله، هذا معنى الهجرة في الشرع، الانتقال عن محلٍ يبغضه الله إلى محلٍ يحبه الله تعالى.

والهجرة نوعان: هجرةٌ حِسيَّة كالهجرة من بلاد الكفر وبلاد المعاصي إلى بلاد الإيمان والإسلام، **وهجرةٌ معنوية** وهي هجر ما يسخط الله تعالى، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «**المُهاجرَ مَن هجرَ ما نَهى اللَّهُ عز وجل عنهُ**».

فقال عليه الصلاة والسلام: «**فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ**»،

من المستقر عند علماء اللغة أن فعل الشرط لا ينبغي أن يساوي جواب الشرط، يعني لا يستقيم أن تقول: من أكل فقد أكل ومن شرب فقد شرب ومن قرأ فقد قرأ، هذا معيبٌ في اللغة. صح؟ لأنه لا يفيد فائدة.

طيب ألم يقل النبي صلى الله عليه وسلم هنا: «**فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ**»؟ أليس هذا من باب تكرار جزاء الشرط في فعل الشرط؟ الجواب: لأ؛ لأن قوله عليه الصلاة والسلام: «**فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ**» له معنى، والجزاء له معنىً آخر.

وذلك أن المقصود بقوله عليه الصلاة والسلام: «**فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ**» أي: نيةً وقصدًا، «**فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ**» ثوابًا وقبولًا، فاختلف الجزاء عن فعل الشرط فاستقام الكلام. واضح؟

لذلك يكون المعنى: «**فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ**»، أي: نيةً وقصدًا، أي هاجر إلى الله قاصدًا الله، أو إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قاصدًا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقاصدًا اتباعه وقاصدًا وجه الله تعالى، «**فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ**» جزاءً وثوابًا وقبولًا.

«**وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا أَوِ امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ**»، هنا قال عليه الصلاة والسلام: «**وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا**»، اللام في قوله عليه الصلاة والسلام: «**لِدُنْيَا**» اختُلف في معناها، قال بعضهم: هي لام التعليل، يعني من أجل دنيا. واضح؟ وقال آخرون: بل هي لام الغاية التي بمعنى «إلى»، يعني: هاجر إلى دنيا. واضح؟

وكلا المعنيين محتمل، قد تكون لام التعليل، أي: هاجر من أجل دنيا، وكذلك يحتمل أن تكون اللازم بمعنى «إلى».. إلى دنيا يصيبها.

«**أَوِ امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ**»، في الجملة الأولى أظهر النبي صلى الله عليه وسلم المهاجَر إليه وهو الله والرسول في جزاء الشرط، قال: «**فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ**»، أما في الجملة الثانية وهي: «**وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا أَوِ امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا**» لم يقل: فهجرته لِدُنْيَا يُصِيبُهَا أَوِ امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا، بل قال: «**فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ**»، قال العلماء: وذلك تحقيرًا لهذه

النية، يعني: فهجرته إلى هذا الشيء القليل الحقير الذي هاجر إليه.

طيب هل يقتضي ذلك أنه لا يجوز أن يهاجر الإنسان ليتاجر أو ليتزوج؟ الجواب: لأ. طيب لماذا حقَّر النبي عليه الصلاة والسلام هذا الأمر وقال: «**فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ**»؟ الجواب: أنه هذا الأمر يكون محقَّرًا إذا كان في ظاهره يوهم الناس أنه مهاجِر إيش؟ إلى الله ورسوله. واضح؟ يكون في مقام إظهار العبادة وفي الواقع هو يبطن نيةً دنيوية، يكون هذا الأمر مذمومًا لأن هذا نفاق.. نوعٌ من النفاق والرياء، أما إذا خلا من ذلك وسافر الإنسان ليتاجر في المباح أو ليتزوج في الحلال فهذا ليس مذمومًا.

هذا الحديث يتضمن فوائد عظيمة جدًا، بل هو كما قال بعض أهل العلم: هو نصف العلم، ولا يخلو بابٌ من أبواب الفقه إلا ولهذا الحديث فيه مدخل، لذلك افتتح الإمام البخاري رحمه الله كتابه الصحيح بهذا الحديث، وقال العلماء: لا ينبغي لمن يصنف في الحديث أن يغفل الافتتاح بهذا الحديث. لماذا؟ لأنه يذكِّر المسلم بإخلاص النية في طلب العلم أو في تعليم العلم أو التصنيف أو في نحو ذلك.

أما النية وأنواعها وأحكامها وتفاصيلها فالكلام فيها يطول، أحيلكم على شرحي على القواعد الفقهية.. نظم القواعد الفقهية، فقد فصَّلت الكلام على النية وأحكامها وأنواعها وتفاصيلها، وهو مسجل وموجود.

«**رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ ومُسْلِمُ فِي صَحِيحَيْهِمَا اللَّذَيْنِ هُمَا أَصَحُّ الْكُتُبِ الْمُصَنَّفَةِ**»، نعم قد اتفق العلماء على أن البخاري ومسلم أصح ما صُنِّف من كتب الحديث.

ثم قال رحمه الله الحديث الثاني

عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أيضًا، قَالَ: «بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ»، «الشَّعْرِ» تصح بتسكين العين وبفتحها، تقول: شَّعْرِ وتقول: شَّعَرِ وكلاهما صحيح، **«لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ، وَقَالَ يَا مُحَمَّدُ، أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ».**

هذا الحديث يروي فيه عمر رضي الله عنه قصة أن رجلًا ذات يوم وهم جالسون عند النبي صلى الله عليه وسلم «**إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ**».

من فوائد هذا الحديث استحباب التجمل لمجالس العلم؛ لأن هذا الرجل وهو جبريل عليه السلام جاء بقصد العلم والتعليم، استنبط العلماء من ذلك من شدة بياض ثيابه وشدة سواد شعره استحباب التجمل والتطيب والتنظف لمجالس العلم.

«**لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ**»، وهذا غريب وهذا يستدعي الغرابة؛ لأن أهل المدينة يعرفون بعضهم، فلا هو من أهل المدينة ولا يظهر عليه أنه مسافر، وهذا أمرٌ يستدعي الغرابة.

قال: «**حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ**»، وهذا فيه أيضًا من الفوائد استحباب الدنو من المعلِّم والشيخ؛ لأن جبريل عليه السلام أتى على هيئة السائل والمسترشد فدنا من النبي صلى الله عليه وسلم جدًا حتى أسند ركبتيه إلى ركبتيه، ركبتيه الأولى جبريل وركبتيه الثانية للنبي عليه الصلاة والسلام.

وهذا فيه أمران: الأمر الأول: القرب من المعلم، **والأمر الثاني**: مقابلة وجهه بوجهه؛ لأن إسناد الركبتين إلى الركبتين يدل على إيش؟ يدل على مقابلة الوجه بالوجه. واضح؟ وهذا يدل على أن من يأتي إلى مجالس العلم ثم يجلس مثلًا في الأخير مثلًا أو ينحرف عن استقبال المعلِّم أن هذا خلاف الأدب المرجو في طلب العلم.

قال: «**وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ**»، «**وَضَعَ كَفَّيْهِ**» أي جبريل، «**عَلَى فَخِذَيْهِ**» هل المقصود: فخذيه نفسه أم فخذي النبي صلى الله عليه وسلم؟ احتمالان.. قولان عند أهل العلم في شرَّاح الحديث:

فمنهم من قال: وضع كفيه على فخذي نفسه، وذلك احترامًا وهي جلسة احترامٍ لهذا المقام، ومنهم من قال: بل وضع كفيه على فخذي النبي صلى الله عليه وسلم، وكلاهما محتمل.

«**وَقَالَ يَا مُحَمَّدُ**»، قال العلماء: فيه جواز مناداة الشيخ باسمه المجرد إذا علم عدم كراهيته

لذلك، لأنه قال: «**يَا مُحَمَّدُ**» ولم يقل: يا رسول الله. واضح؟ « **أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ**».

«فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الْإِسْلَامُ: أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا»

وهذه أركان الإسلام الخمسة كما تعلمون؛ الشهادتان والصلاة والزكاة والصوم والحج، وتفاصيلها تجدونها في كتب العقيدة وكتب الفقه مطولة، في كل واحدةٍ منها تحتاج إلى تفصيل، ولكن المقصود هنا شرح الحديث باختصار.

ولكن لماذا نصَّ النبي صلى الله عليه وسلم في قوله: «**إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا**» على الحج؟ رغم أن الصوم أيضًا إن لم تستطع أن تصوم ما يجب عليك أن تصوم، الزكاة إن لم تستطع أن تزكي.. ما عندك أموال لا تزكي، فلماذا خصَّ الحج بقوله: «**إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا**»؟

الجواب: أن الحج هو أكثر هذه الأركان مشقة لاحتياجه إلى السفر في الغالب، لذلك نُصَّ عليه كما نُصَّ على ذلك في الآية: **{وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا}** [آل عمران:97].

«قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ عمر رضي الله عنه: فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ».

لماذا العجب؟ لأن السائل في الغالب يجهل الجواب. واضح؟ والتصديق يدل على علمه المسبق بالجواب، فدلَّ ذلك على أنه كان يعلم الجواب، ووجه الاستغراب أنه يعلم الجواب أن هذا الكلام لا يقوله إلا الرسول عليه الصلاة والسلام وهذا رجلٌ غريب. من أي أخذ العلم المسبق بهذه الأركان؟ فتعجب عمر رضي الله عنه يسأله ويصدقه.

«قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ. فقَالَ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ. قَالَ: صَدَقْتَ».

وهنا هذه الأركان الستة، و«الإيمان» في اللغة: التصديق، و«الإيمان» في الشرع: هو التصديق بالجنان والعمل بالجوارح والأركان والنطق باللسان، فالإيمان: قولٌ باللسان وعملٌ بالجوارح والأركان

وتصديقٌ بالجنان أي بالقلب.

وهذا الترتيب – ترتيب الإيمان – مقصود، أول مراتبه الإيمان بالله، ثم الملائكة لأن الملائكة هم رسل الله إلى الرسل. صح؟ فلذلك تؤمن بالملائكة، والملائكة يحملون ماذا؟ يحملون الكتب التي أنزلها الله عز وجل إلى رسله، هذه الكتب إلى من؟ إلى الرسل، تؤمن بالله وملائكته الذي هم رسل الله إلى العالَم السفلي، وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره، «**قَالَ: صَدَقْتَ**»

«**قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ، قَالَ: أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ، فَإِنَّهُ يَرَاكَ**»

وهنا سأله عن الإحسان، طيب هل هناك فرقٌ بين الإسلام والإيمان والإحسان؟ أم كلها من الدين؟ الجواب: كلها دين، والإيمان داخلٌ في الإسلام، والإسلام داخلٌ في الإيمان، والإحسان كذلك.

ولكن قال العلماء أن هذه الثلاثة إذا ذُكرت في سياقٍ واحد اختصَّت كل واحدةٍ منها بمعنى، فأصبح الإسلام للشعائر الظاهرة، والإيمان للأمور الباطنة والاعتقادات الباطنة، والإحسان هو زيادة في الإيمان والإسلام، أما إذا ذُكر الواحد منها منفردًا دخل فيه كل البقية؛ فالإسلام إذا ذُكر لوحده لا شك أنه يدخل فيه الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله، الإيمان إذا ذُكر لوحده يدخل لا شك فيه الصلاة، فلا يمكن أن تقول: هذا مؤمن وهو لا يصلي.

وبالتالي قال العلماء: الإيمان والإسلام إذا اجتمعًا افترقا وإذا افترقا اجتمعا؛ إذا اجتمعا في الذكر افترقا في المعنى، وإذا افترقا في الذكر اجتمعا في المعنى.

والإحسان أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ، فَإِنَّهُ يَرَاكَ، الإحسان مرتبة عالية من الإيمان، لا يزال يترقى المؤمن في مراقي الإيمان حتى يصل إلى مرحلة كأنه يرى الله سبحانه وتعالى، كأنك تراه.. أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، وإذا كنت ترى الله فما حالك في عبادتك وفي خشوعك؟ لا شك أنه حالٍ عالٍ. واضح؟

قال: «**فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ**»، يعني إن لم تصل إلى هذه المرتبة العليا الكبرى فلا تنس أن الله إيش؟ أن الله يراك، «**فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**»

«قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ؟»، وهذا السؤال الرابع، و«الساعة» في اللغة: قطعة من الزمن، وفي الاصطلاح: اسم من أسماء يوم القيامة.

«فقال عليه الصلاة والسلام: مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ»، ما عندي علم فيها، وهنا النبي عليه الصلاة والسلام فهم سؤاله عن الساعة وأجابه حسب فهمه، وإلا فالسؤال مجمل، يعني: ما الساعة؟ أخبرني عن الساعة. ممكن يريد أحداث يوم القيامة، ممكن يريد يعني مثلًا: هل يحاسب الله عز وجل فيه؟ ممكن يريد أماراتها، ممكن يريد موعدها.

ولكن النبي صلى الله عليه وسلم فهم أنه يسأل عن إيش؟ عن موعدها، لذلك قال: «**مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ**».

«قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَتِهَا؟»، «الأَمَارات» جمع «أَمَارة». و«الأَمَارة» بفتح الهمزة بمعنى: العلامة، يعني: أخبرني عن علامات الساعة.

«فقال عليه الصلاة والسلام: أَنْ تَلِدَ الْأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ».

ذكر له النبي صلى الله عليه وسلم علامتين من علامات الساعة، وعلامات الساعة يقسمها العلماء ثلاثة أقسام: علامات صغرى وعلامات وسطى وعلامات كبرى.

العلامات الصغرى: التي خرجت وانقضت مثل: بعثة النبي صلى الله عليه وسلم ونحوها.

والعلامات الوسطى: التي ظهرت أو لازالت تظهر ومستمرة، وما ذكره النبي صلى الله عليه وسلم منه ممكن أن يقال أنه من العلامات الصغرى مثل: «**أَنْ تَلِدَ الْأَمَةُ رَبَّتَهَا**» لأن هذا انقضى وحصل، ومنه ما هو مستمر وهو النوع الثاني.

أما العلامات الكبرى: فهي التي تسبق يوم القيامة بزمنٍ يسير، كخروج الدجَّال وخروج يأجوج ومأجوج ويعني خروج الشمس من مغربها والدابة ونحو ذلك.

«**أَنْ تَلِدَ الْأَمَةُ رَبَّتَهَا**»، «الأمة» هي المرأة المملوكة، أَنْ تَلِدَ رَبَّتَهَا. ما معنى هذا الكلام؟ الرَبَّة يعني: سيدتها، يعني تكون البنت سيدة أمها. كيف يكون ذلك؟ قال العلماء: المقصود انتشار السراري والإماء حتى أن تكثر أولادهن وبناتهن وبنتها تكون حرة كأبيها فتُنَزَّل منزلة سيدتها.

ويقال أن معناه: كثرة الملوك من أولاد الإماء، وهذا حصل؛ فإن جُلَّ خلفاء بني العباس، كلهم تقريبًا، أمهاتهم إيش؟ إماء.. أمهات أولاد، إلا عددوا يمكن اثنين أو ثلاثة منهم هم فقط اللي أمهاتهم ليسوا إماءً.

وهناك معنىً آخر ذكره بعضهم وأنه المقصود قالوا المقصود: انتشار العقوق بحيث تعامل البنت أمها معاملة السيدة لأمتها، يعني هي التي ولدتها، «**أَنْ تَلِدَ الْأَمَةُ رَبَّتَهَا**»، البنت التي ولدتها هذه الأم تتحول في يومٍ من الأيام إلى سيدة على هذه الأم، وهذا لا شك أنه من العقوق، فقالوا أن هذا المقصود به: انتشار العقوق.

العلامة الثانية: «**وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ**»، «الحُفَاة»: الذين لا ينتعلون إذا مشوا، و«العُرَاة» الذين إما عراة كليًا أو عراة جزئيًا، يعني لا يلبسون الملابس الكثيرة، «**الْعَالَةَ**» يعني: الفقراء، «**رِعَاءَ الشَّاءِ**»، هذه أربع صفات؛ حُفَاةَ عُرَاةَ عَالَةَ فقراء رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ.

يعني كانوا قبل مدةٍ يسيرة حفاةً، حتى من فقرهم لا ينتعلون، عراةً لا يلبسون، فقراء ويرعون الغنم، ثم فجأة بعد برهةٍ من الزمن تجدهم يتطاولون في البنيات. يعني إيش؟ يعني ينافس بعضهم بعضًا أيهم أطول بنيانًا، وهذا إن دل فإنما يدل على إيش؟ كثرة المال؛ لأن الذي ماله قليل لا يتطاول في البنيان، وكذلك يدل على أن المال في غالبه يصير إلى الأصاغر أو إلى من لا يحسن تدبيره وإدارته. واضح؟ وهذا أمرٌ مُشاهَد، وهذه العلامة التي أخبر عنها النبي عليه الصلاة والسلام مشاهدة لا تخفى على أحد.

«**قال ثُمَّ انْطَلَقَ**»، بعدما سأل هذه الأسئلة انطلق الرجل. قال: «**فَلَبِثْتُ مَلِيًّا**»، «**مَلِيًّا**» يعني: زمانًا كثيرًا، وقيل في بعض الروايات جاء في سنن أبي داود والترمذي أن هذا الزمان كان ثلاثة أيام، يعني هذا الرجل سأل هذه الأسئلة ثم ذهب، ثم بعد مدة ثلاثة أيام قال: «**يَا عُمَرُ، أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟ قال: قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: فإنهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ**»

هل كان النبي عليه الصلاة والسلام يعلم أنه جبريل لما سأله أم لا؟ الجواب: لا؛ فقد جاء في مسند الإمام أحمد بإسنادٍ صحيح صححه الحافظ ابن حجر في الفتح قال عليه الصلاة والسلام: «ما جاءني»، أي جبريل، «**في صورةٍ لم أعرفها إلا في هذه المرة**»، هذه المرة الوحيدة التي ما

عرف النبي عليه الصلاة والسلام جبريل فيها.

ثم بعد مدة عرف النبي عليه الصلاة والسلام أن هذا جبريل، قال: «**أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ**» **رَوَاهُ مُسْلِمٌ**.

هذا الحديث طبعًا يا إخوان هو الدين كله، يعني اشتمل على الإسلام كله وأركان الإيمان والإحسان وعلامات يوم القيامة، فالكلام فيه يطول جدًا جدًا.

ولكن من فوائده إضافةً لما سبق أنه يجوز أن يسأل الإنسان عن مسألة يعرف جوابها مسبقًا لكي يعلِّم أو يكون سببًا في تعليم الناس، كأن يكون إنسان مثلًا في مجلس وقد حضر في هذا المجلس مثلًا أحد العلماء فيسأل العالِم سؤالًا هو يعرف جوابه ولكن هدفه إيش؟ أن يتكلم هذا العالِم فيفيد الحاضرين. واضح؟ وهذا من فعل جبريل عليه السلام لأنه جزمًا يعلم أجوبة ما سأل عنه.

﴿شرح متن الأربعين النووية﴾

لفضيلة الشيخ الدكتور

مطلق الجاسر

حفظه الله

المجلس الثاني

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين
سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

قال رحمه الله تعالى: الحديث الثالث

قال: «عَنْ أبي عبد الرحمن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَحَجِّ الْبَيْتِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ»، رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ».

هذا الحديث – حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما – فيه قال: «**بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ**»، هذا فيه تشبيه الأمر المعنوي بالأمر الحسي؛ الأمر الحسي هو البيت المبني من الأعمدة مثل الخيمة، وكانوا قديمًا يسمون الخيمة «بيتًا»، فشبَّه النبي صلى الله عليه وسلم الإسلام بالخيمة التي لها عامودٌ في المنتصف ولها أركان أربعة.

الإسلام مثل الخيمة؛ عمودها في المنتصف هو إيش؟ الشهادة - شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ ، وأركانها الأربعة: الصلاة والزكاة والحج والصوم، وهذا يدل على أن الإسلام عباداته متنوعة تشمل جميع أنواع العبادات؛ لأن العبادات إما أن تكون بدنيةً محضة أو تكون ماليةً محضة أو تكون جامعةً بينهما.

فالعبادات البدنية المحضة كالصلاة، والعبادات المالية المحضة كالزكاة، والعبادات الجامعة بينهما الحج؛ فالحج فيه إنفاق وفيه هدي وفيه سفر وفيه أيضًا عبادة بدنية.

كذلك جمع أيضًا هذا الحديث في أركان الإسلام بين أركان الإسلام الفعلية وأركان الإسلام التركية، بمعنى: الصلاة والزكاة والحج فعل، أما الصوم فهو امتناع فقط بنيَّة. واضح؟ أن لا تفعل شيئًا.

كذلك هذا يدل على تنوع الأركان في الإسلام، يعني أن الإسلام لا يركز على، كما يقولون مثلًا الروح فقط، لأ؛ يركز على الروح وعلى الجسد وعلى علاقة الإنسان بالآخرين، فجعل الإسلام من أركانه الزكاة، والزكاة لا يخفى ما فيها من تكافل وترابط بين الناس، كذلك علاقة الإنسان بربه بالصلاة.

والمقصود أن هذه الأركان الناظر فيها يجد أنها متنوعة متكاملة شاملة، فيها العلاقة بين المسلم

وربه، وفيها العلاقة بين المسلم والآخرين.

وطبعًا الكلام كما قلنا عن تفاصيل هذه الأركان يطول جدًا ونحيلكم على الشروح الأخرى في الفقه وغيره.

الحديث الرابع

«عَنْ أبي عبد الرحمن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ تَعَالَى اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ: «إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا»، وفي رواية: «أَرْبَعِينَ يَوْمًا نُطْفَةً»، «ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ إِلَيْهِ الْمَلَكَ، فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ وَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: بِكَتْبِ رِزْقِهِ وَأَجَلِهِ وَعَمَلِهِ وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ، فَوَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيُدْخُلُهَا، وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ».

هذا الحديث أيضًا من الأحاديث العظيمة الجامعة، يقول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «**حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**»، وهذا فيه استعمال صيغة حَدَّثَنَا التي استعملها المحدثون؛ فإنهم يقولون: حَدَّثَنَا ويقولون: أخبرنا، وهذا أصلٌ لهذا الاستعمال من عبد الله بن مسعود } رضي الله عنه.

«**حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ**»، «**الصَّادِقُ**» أي: في نفسه، «**الْمَصْدُوقُ**» أي: أن الذي أخبره أيضًا صادق، وليس المقصود بـ«**الْمَصْدُوقُ**» أي المُصَدَّق. لأ؛ «**الْمَصْدُوقُ**» يعني: أُخبِرَ أيضًا خبرًا صادقًا. واضح؟

فهناك فرق بين: مَصْدُوقُ ومُصَدَّق؛ الصَّادِقُ هو صادق، ومَصْدُوقُ أي: المعلومة التي عنده أتته من مصدرٍ صادق أيضًا؛ فقد صدقه من أخبره. ومن الذي أخبره؟ جبريل عليه السلام عن رب العزة عز وجل، فهو صادقٌ ومصدوقٌ أيضًا.. أُخبرَ بالصدق.

«**إِنَّ أَحَدَكُمْ**»، تُقرأ: «**إِنَّ**» بكسر الهمزة، وتُقرأ: «**أَنَّ**» بفتحها، «**إِنَّ**» على أنه مقول القول، وهذا جائز؛ «**إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ**»، وتصح «**أَنَّ**» بالفتح على أنها مفعول «حَدَّثَنَا»؛ «حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ أَحَدَكُمْ»، وهذا يصح وهذا يصح.

«**أَنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا**»، هذا الحديث من دلائل النبوة؛ لأن ما أخبر عنه النبي صلى الله عليه وسلم قد ثبت فعليًا وتحدث عنه علماء الأجنة في هذا العصر وأثبتوه، وموجود كلامهم ومُثْبت ومصوَّر ويعني أغلبهم من غير المسلمين حتى، صُدموا لما وجدوا دقة تعبير النبي عليه الصلاة والسلام عن هذه الحالة.

«**إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا**»، يعني يكون نطفةً، والنطفة بمعنى المني يُمنَى.

«**فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ**»، يعني يتحول هذا الماء إلى علقة، والعلقة أي: القطعة من الدم، يتحول بمشيئة الله إلى قطعةٍ من الدم، «**مِثْلَ ذَلِكَ**» يعني أربعين يومًا أيضًا، فيصير المجموع ثمانين.

«**ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ**»، والمضْغَةً بمعنى: القطعة من اللحم بقدر ما يكون في فم الإنسان عند المضغ، لما تأكل وتدخل الطعام في فمك وتمضغ، المقدار أو الحجم الذي يكون في فمك من هذا الطعام يسمى مضغة، فيتحول الجنين من كونه علقة، قطعة من الدم، إلى اللحم، يكون نوعًا من اللحم.. قطعة بمقدار ما يمضغه الماضغ بعد أربعين يومًا، فيصير المجموع كم؟ مائة وعشرين يوم، يعني أربعة أشهر.

قال: «**ثُمَّ يُرْسَلُ الْمَلَكُ**»، وهذا الملَك ملكٌ خاصٌ موكلٌ بالأرحام، مهمته نفخ الروح في الأرحام، «**ثُمَّ يُرْسَلُ الْمَلَكُ فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ**»، بمشيئة الله وبتقدير الله وبكيفيةٍ يعلمها ربنا سبحانه وتعالى.

«**وَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: بِكَتْبِ رِزْقِهِ وَأَجَلِهِ وَعَمَلِهِ وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ**»، يعني أن هذه الأقدار التي كتبها ربنا سبحانه وتعالى تُكتب والإنسان في بطن أمه بعد مرور مائة وعشرون يومًا من وجود النطفة في الرحم، فيؤمر بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: بِكَتْبِ رِزْقِهِ، كل ما يحصله الإنسان من هذه الحياة

سيُكتب، وَأَجَلِهِ؛ يعني كم سيعيش؟ ومتى سيموت؟ وَعَمَلِهِ كذلك، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ، يعني: هل سيكون من السعداء أم يكون من الأشقياء؟ نسأل الله أن يجعلنا وإياكم من السعداء وأن يجنبنا الأشقياء.

قال عليه الصلاة والسلام: «**فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ وَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: بِكَتْبِ رِزْقِهِ وَأَجَلِهِ وَعَمَلِهِ وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ**»، وإيماننا بمثل هذا لا شك أنه يجعل الإنسان مطمئنًا لا يجزع؛ لأن الله عز وجل كما قال: {وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ} [الذاريات:22]، وأن الإنسان رزقه محفوظ ومكفول، وأنه مأمورٌ بالسعي نعم ولكن لا يكون سعيه سعي المتعلق بالدنيا تعلقًا أصليًا، وإنما ينبغي على الإنسان أن تكون الدنيا عنده سببًا فقط من الأسباب ويكون تعلقه بالله عز وجل الذي سبب الأسباب والذي قدرها.

ثم قال علي الصلاة والسلام: «**فَوَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ**»، هذا فيه جواز الحلف في التعليم إذا استدعى الأمر ذلك، وإلا فإن النبي عليه الصلاة والسلام صادق مصدوق لا يحتاج للحلف، ولكنه عليه الصلاة والسلام أقسم بالله، «**فَوَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ**»، هذا قسم بالله عز وجل، وذلك يدل على أهمية الأمر.

«**إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ**»، وقد جاء في بعض الروايات: «**يَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فِيمَا يَبْدُو لِلنَاسِ**»، وإلا في الواقع فهو مثلًا خلاف ذلك، «**حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ**»، يعني ما بقي على وفاته مثلًا إلا القليل، «**فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ**»، يعني: القدر الذي قُدِّر عليه ويستحقه هو، «**فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيُدْخُلُهَا**».

«**وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ**»، وهذا فيه عدم الاغترار بصلاح الإنسان في نفسه أو في غيره، وألا يُجْزَمَ لأحدٍ بجنةٍ أو نار، لذلك من معتقد أهل السنة والجماعة ألا نجزم لأحدٍ بجنةٍ أو نار، ولكن نرجو للمحسن ونخاف على المسيء.

كذلك فيه عدم الركون والاعتماد على النفس دون اللجوء إلى الله عز وجل، بل ينبغي على الإنسان أن يحذر من الفتن ولا يقول: أنا رجل مصلي أو صالح أو بعيد عن الفتن أو بعيد عن

الشبهات أو بعيد عن الشهوات، لا؛ ينبغي أن يكون حذرًا.

والنبي صلى الله عليه وسلم وهو من هو في قربه من الله عز وجل كان كثيرًا ما يدعو بـ«**اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك، اللهم يا مصرف القلوب والأبصار صرِّف قلبي إلى طاعتك**»، ومن دون النبي صلى الله عليه وسلم أحرى بذلك أن يخاف وأن يسأل الله دومًا الثبات، فكم ممن ذاق لذة الإيمان ويعني سلك طريق المساجد واهتدى بهدى الله عز وجل فترة ثم والعياذ بالله انتكس وهد وترك هذا الطريق إلى غيره.

لذلك ينبغي على الإنسان أن يكون حذرًا وأن يداوم الدعاء بأن يثبته الله عز وجل وأن يحفظه وأن يبعد عنه الشهوات ويبعد عنه الفتن ما ظهر منها وما بطن.

كذلك من فوائد هذا الحديث أن لا ننظر إلى العصاة ولا إلى حتى الكفار نظرة احتقار لذواتهم، ولكن ننظر لهم نظرة عطف ورحمة وأن نحب لهم الهداية؛ فإن هذا العاصي ربما في يومٍ من الأيام سيكون من الصالحين، وقد يهتدي.

أبو سفيان رضي الله عنه كان في يوم من الأيام من أشد الناس حربًا على الرسول عليه الصلاة والسلام، كان يقود الجيوش في محاربة النبي صلى الله عليه وسلم ثم أسلم بعد ذلك وصار من المسلمين وحسن إسلامه رضي الله عنه، وقل مثل ذلك في عدد ممن حارب النبي صلى الله عليه وسلم ثم منَّ الله عز وجل عليه بالهداية، وذلك كثير.

لذلك إياك أن تنظر إلى العصاة أو إلى الكفار نظرة تعالٍ ونظرة مطمئنٍ على نفسه ونظرة محتقرٍ لهم، بل ينبغي أن ينظر إلى العصاة بنظرة رحمة، أن يرحمهم وأن يتمنى أن يتركوا ما هم فيه وأن يبذل السبب في ذلك وأن يناصحهم وأن يعني يوصل لهم الخير قدر استطاعته، ولا ينظر إلى نفسه نظرة عجب أو نظرة يعني أنه قد وصل وأن آيات العذاب بمنأىً عنه وأن آيات الرحمة موجهة له، بل ينبغي أن يكون حذرًا منتبهًا حتى لا يغتر بذلك، وكذلك لا ينظر إلى الآخرين نظرة ازدراءٍ واحتقار.

﴿شرح متن الأربعين النووية﴾

لفضيلة الشيخ الدكتور

مطلق الجاسر

حفظه الله

المجلس الثانى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين
سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

قال رحمه الله تعالى: الحديث الثالث

قال: «عَنْ أبي عبد الرحمن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَحَجِّ الْبَيْتِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ»، رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ».

هذا الحديث – حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما – فيه قال: «**بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ**»، هذا فيه تشبيه الأمر المعنوي بالأمر الحسي؛ الأمر الحسي هو البيت المبني من الأعمدة مثل الخيمة، وكانوا قديمًا يسمون الخيمة «بيتًا»، فشبَّه النبي صلى الله عليه وسلم الإسلام بالخيمة التي لها عامودٌ في المنتصف ولها أركان أربعة.

الإسلام مثل الخيمة؛ عمودها في المنتصف هو إيش؟ الشهادة - شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ ، وأركانها الأربعة: الصلاة والزكاة والحج والصوم، وهذا يدل على أن الإسلام عباداته متنوعة تشمل جميع أنواع العبادات؛ لأن العبادات إما أن تكون بدنيةً محضة أو تكون ماليةً محضة أو تكون جامعةً بينهما.

فالعبادات البدنية المحضة كالصلاة، والعبادات المالية المحضة كالزكاة، والعبادات الجامعة بينهما الحج؛ فالحج فيه إنفاق وفيه هدي وفيه سفر وفيه أيضًا عبادة بدنية.

كذلك جمع أيضًا هذا الحديث في أركان الإسلام بين أركان الإسلام الفعلية وأركان الإسلام التركية، بمعنى: الصلاة والزكاة والحج فعل، أما الصوم فهو امتناع فقط بنيَّة. واضح؟ أن لا تفعل شيئًا.

كذلك هذا يدل على تنوع الأركان في الإسلام، يعني أن الإسلام لا يركز على، كما يقولون مثلًا الروح فقط، لأ؛ يركز على الروح وعلى الجسد وعلى علاقة الإنسان بالآخرين، فجعل الإسلام من أركانه الزكاة، والزكاة لا يخفى ما فيها من تكافل وترابط بين الناس، كذلك علاقة الإنسان بربه بالصلاة.

والمقصود أن هذه الأركان الناظر فيها يجد أنها متنوعة متكاملة شاملة، فيها العلاقة بين المسلم

وربه، وفيها العلاقة بين المسلم والآخرين.

وطبعًا الكلام كما قلنا عن تفاصيل هذه الأركان يطول جدًا ونحيلكم على الشروح الأخرى في الفقه وغيره.

الحديث الرابع

«عَنْ أبي عبد الرحمن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ تَعَالَى اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ: «إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا»، وفي رواية: «أَرْبَعِينَ يَوْمًا نُطْفَةً»، «ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ إِلَيْهِ الْمَلَكَ، فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ وَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: بِكَتْبِ رِزْقِهِ وَأَجَلِهِ وَعَمَلِهِ وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ، فَوَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيُدْخُلُهَا، وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ».

هذا الحديث أيضًا من الأحاديث العظيمة الجامعة، يقول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «**حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**»، وهذا فيه استعمال صيغة حَدَّثَنَا التي استعملها المحدثون؛ فإنهم يقولون: حَدَّثَنَا ويقولون: أخبرنا، وهذا أصلٌ لهذا الاستعمال من عبد الله بن مسعود } رضي الله عنه.

«**حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ**»، «**الصَّادِقُ**» أي: في نفسه، «**الْمَصْدُوقُ**» أي: أن الذي أخبره أيضًا صادق، وليس المقصود بـ«**الْمَصْدُوقُ**» أي المُصَدَّق. لأ؛ «**الْمَصْدُوقُ**» يعني: أُخبِرَ أيضًا خبرًا صادقًا. واضح؟

فهناك فرق بين: مَصْدُوقٌ ومُصَدَّق؛ الصَّادِقُ هو صادق، ومَصْدُوقُ أي: المعلومة التي عنده أتته من مصدرٍ صادق أيضًا؛ فقد صدقه من أخبره. ومن الذي أخبره؟ جبريل عليه السلام عن رب العزة عز وجل، فهو صادقٌ ومصدوقٌ أيضًا.. أُخبِرَ بالصدق.

«**إِنَّ أَحَدَكُمْ**»، تُقرأ: «**إِنَّ**» بكسر الهمزة، وتُقرأ: «**أَنَّ**» بفتحها، «**إِنَّ**» على أنه مقول القول، وهذا جائز؛ «**إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ**»، وتصح «**أَنَّ**» بالفتح على أنها مفعول «حَدَّثَنَا»؛ «حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ أَحَدَكُمْ»، وهذا يصح وهذا يصح.

«**أَنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا**»، هذا الحديث من دلائل النبوة؛ لأن ما أخبر عنه النبي صلى الله عليه وسلم قد ثبت فعليًا وتحدث عنه علماء الأجنة في هذا العصر وأثبتوه، وموجود كلامهم ومُثْبت ومصوَّر ويعني أغلبهم من غير المسلمين حتى، صُدموا لما وجدوا دقة تعبير النبي عليه الصلاة والسلام عن هذه الحالة.

«**إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا**»، يعني يكون نطفةً، والنطفة بمعنى المني يُمنَى.

«**فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ**»، يعني يتحول هذا الماء إلى علقة، والعلقة أي: القطعة من الدم، يتحول بمشيئة الله إلى قطعةٍ من الدم، «**مِثْلَ ذَلِكَ**» يعني أربعين يومًا أيضًا، فيصير المجموع ثمانين.

«**ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ**»، والمضْغَةً بمعنى: القطعة من اللحم بقدر ما يكون في فم الإنسان عند المضغ، لما تأكل وتدخل الطعام في فمك وتمضغ، المقدار أو الحجم الذي يكون في فمك من هذا الطعام يسمى مضغة، فيتحول الجنين من كونه علقة، قطعة من الدم، إلى اللحم، يكون نوعًا من اللحم.. قطعة بمقدار ما يمضغه الماضغ بعد أربعين يومًا، فيصير المجموع كم؟ مائة وعشرين يوم، يعني أربعة أشهر.

قال: «**ثُمَّ يُرْسَلُ الْمَلَكُ**»، وهذا المَلَك ملكٌ خاصٌ موكلٌ بالأرحام، مهمته نفخ الروح في الأرحام، «**ثُمَّ يُرْسَلُ الْمَلَكُ فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ**»، بمشيئة الله وبتقدير الله وبكيفيةٍ يعلمها ربنا سبحانه وتعالى.

«**وَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: بِكَتْبِ رِزْقِهِ وَأَجَلِهِ وَعَمَلِهِ وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ**»، يعني أن هذه الأقدار التي كتبها ربنا سبحانه وتعالى تُكتب والإنسان في بطن أمه بعد مرور مائة وعشرون يومًا من وجود النطفة في الرحم، فيؤمر بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: بِكَتْبِ رِزْقِهِ، كل ما يحصله الإنسان من هذه الحياة

سيُكتب، وَأَجَلِهِ؛ يعني كم سيعيش؟ ومتى سيموت؟ وَعَمَلِهِ كذلك، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ، يعني: هل سيكون من السعداء أم يكون من الأشقياء؟ نسأل الله أن يجعلنا وإياكم من السعداء وأن يجنبنا الأشقياء.

قال عليه الصلاة والسلام: «**فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ وَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: بِكَتْبِ رِزْقِهِ وَأَجَلِهِ وَعَمَلِهِ وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ**»، وإيماننا بمثل هذا لا شك أنه يجعل الإنسان مطمئنًا لا يجزع؛ لأن الله عز وجل كما قال: {وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ} [الذاريات:22]، وأن الإنسان رزقه محفوظ ومكفول، وأنه مأمورٌ بالسعي نعم ولكن لا يكون سعيه سعي المتعلق بالدنيا تعلقًا أصليًا، وإنما ينبغي على الإنسان أن تكون الدنيا عنده سببًا فقط من الأسباب ويكون تعلقه بالله عز وجل الذي سبب الأسباب والذي قدرها.

ثم قال علي الصلاة والسلام: «**فَوَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ**»، هذا فيه جواز الحلف في التعليم إذا استدعى الأمر ذلك، وإلا فإن النبي عليه الصلاة والسلام صادق مصدوق لا يحتاج للحلف، ولكنه عليه الصلاة والسلام أقسم بالله، «**فَوَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ**»، هذا قسم بالله عز وجل، وذلك يدل على أهمية الأمر.

«**إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ**»، وقد جاء في بعض الروايات: «**يَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فِيمَا يَبْدُو لِلنَاسِ**»، وإلا في الواقع فهو مثلًا خلاف ذلك، «**حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ**»، يعني ما بقي على وفاته مثلًا إلا القليل، «**فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ**»، يعني: القدر الذي قُدِّر عليه ويستحقه هو، «**فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيُدْخُلُهَا**».

«**وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ**»، وهذا فيه عدم الاغترار بصلاح الإنسان في نفسه أو في غيره، وألا يُجْزَمَ لأحدٍ بجنةٍ أو نار، لذلك من معتقد أهل السنة والجماعة ألا نجزم لأحدٍ بجنةٍ أو نار، ولكن نرجو للمحسن ونخاف على المسيء.

كذلك فيه عدم الركون والاعتماد على النفس دون اللجوء إلى الله عز وجل، بل ينبغي على الإنسان أن يحذر من الفتن ولا يقول: أنا رجل مصلي أو صالح أو بعيد عن الفتن أو بعيد عن

الشبهات أو بعيد عن الشهوات، لا؛ ينبغي أن يكون حذرًا.

والنبي صلى الله عليه وسلم وهو من هو في قربه من الله عز وجل كان كثيرًا ما يدعو بـ«**اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك، اللهم يا مصرف القلوب والأبصار صرِّف قلبي إلى طاعتك**»، ومن دون النبي صلى الله عليه وسلم أحرى بذلك أن يخاف وأن يسأل الله دومًا الثبات، فكم ممن ذاق لذة الإيمان ويعني سلك طريق المساجد واهتدى بهدى الله عز وجل فترة ثم والعياذ بالله انتكس وهد وترك هذا الطريق إلى غيره.

لذلك ينبغي على الإنسان أن يكون حذرًا وأن يداوم الدعاء بأن يثبته الله عز وجل وأن يحفظه وأن يبعد عنه الشهوات ويبعد عنه الفتن ما ظهر منها وما بطن.

كذلك من فوائد هذا الحديث أن لا ننظر إلى العصاة ولا إلى حتى الكفار نظرة احتقار لذواتهم، ولكن ننظر لهم نظرة عطف ورحمة وأن نحب لهم الهداية؛ فإن هذا العاصي ربما في يومٍ من الأيام سيكون من الصالحين، وقد يهتدي.

أبو سفيان رضي الله عنه كان في يوم من الأيام من أشد الناس حربًا على الرسول عليه الصلاة والسلام، كان يقود الجيوش في محاربة النبي صلى الله عليه وسلم ثم أسلم بعد ذلك وصار من المسلمين وحسن إسلامه رضي الله عنه، وقل مثل ذلك في عدد ممن حارب النبي صلى الله عليه وسلم ثم منَّ الله عز وجل عليه بالهداية، وذلك كثير.

لذلك إياك أن تنظر إلى العصاة أو إلى الكفار نظرة تعالٍ ونظرة مطمئنٍ على نفسه ونظرة محتقرٍ لهم، بل ينبغي أن ينظر إلى العصاة بنظرة رحمة، أن يرحمهم وأن يتمنى أن يتركوا ما هم فيه وأن يبذل السبب في ذلك وأن يناصحهم وأن يعني يوصل لهم الخير قدر استطاعته، ولا ينظر إلى نفسه نظرة عجب أو نظرة يعني أنه قد وصل وأن آيات العذاب بمنأىً عنه وأن آيات الرحمة موجهة له، بل ينبغي أن يكون حذرًا منتبهًا حتى لا يغتر بذلك، وكذلك لا ينظر إلى الآخرين نظرة ازدراءٍ واحتقار.

(شرح متن الأربعين النووية)

لفضيلة الشيخ الدكتور

مطلق الجاسر

حفظه الله

المجلس الثالث

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين
سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

بسم الله الرحمن الرحيم.. الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد.

توقفنا عند الحديث الرابع، حديث ابن مسعود رضي الله عنه، وبقي فيه من أهم فوائده الفقهية وذلك في قوله عليه الصلاة والسلام: «إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يُرْسَلُ الْمَلَكُ، فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ وَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ».

فإذا ضممنا هذه الأربعينات الثلاث يكون مائة وعشرون يومًا، مقدار أربعة أشهر، ومن هنا أخذ العلماء أن السقط إذا سقط لدون أربعة أشهر فإنه لا يُغسَّل ولا يُكفَّن ولا يُصلى عليه ولا يأخذ حكم الأموات لأنه لم يُنفخ فيه الروح بعد، أما إذا سقط بعد الأربعة أشهر من الحمل، يعني أنه قد نُفخ فيه الروح وبالتالي يُغسَّل ويُكفَّن ويُصلى عليه ويُعامل معاملة يعني من مات من الأحياء. طيب.

الحديث الخامس

«عَنْ أم المؤمنين أم عبد الله عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، وَمُسْلِمٌ، وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ: مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ».

أم المؤمنين عائشة رضي الله تعالى عنها أم عبد الله، وقد كنَّاها بهذه الكنية النبي صلى الله عليه وسلم؛ فإنها قد طلبت من النبي صلى الله عليه وسلم أن يكنيها فكنَّاها بابن أختها أسماء، عبد الله بن الزبير؛ فإن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما أم عبد الله بن الزبير، والخالة بمنزلة الأم فكنَّاها النبي صلى الله عليه وسلم بعبد الله ، فهي أم عبد الله.

ولم تلد للنبي صلى الله عليه وسلم من زوجاته إلا خديجة رضي الله عنها وأم ولده مارية، ويُروى أن عائشة حملت من النبي صلى الله عليه وسلم وأسقطت سقطًا، ولكن هذه الرواية لم تثبت.

«قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ

فَهُوَ رَدٌّ»، الإحداث: الإتيان بشيءٍ جديد وبشيءٍ لم يُسبق إليه، وهو بمعنى الابتداع، الإتيان بأمر لم يُسبق إليه.

والابتداع أو إحداث أمر لم يكن موجودًا نوعان: ابتداعٌ في الدنيا وفيما يتعلق بتطورات الدنيا وتقنياتها، وإبداعٌ في أمور العبادة.

أما الإبداع في أمور الدنيا فهذا محمود؛ اختراعات وتطوير التقنيات فيما يخدم البشر هذا لا شك أنه محمود ويدعو إليه الدين، النبي صلى الله عليه وسلم قد قبل أفكارًا جديدة لم تكن موجودة عند العرب كحفر الخندق، قد أخذها من سلمان الفارسي نقلًا عن الفرس، كذلك الختم؛ النبي عليه الصلاة والسلام قيل له إنه لا يُقبل له كتاب إذا لم يختمه فاتَّخذ خاتمًا.

الشاهد أن الابتداع في أمور الدنيا، الاختراعات والتقنيات ونحوها، هذا أمرٌ محمود، أما الابتداع في أمور الدين هذا أمرٌ مذموم وممنوع ومحرم، وهو المقصود بهذا الحديث. كيف عرفنا؟ عرفنا من قوله عليه الصلاة والسلام: «**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا**»، قيد الإحداث «فِي أَمْرِنَا» أي «في ديننا»، «**فَهُوَ رَدٌّ**»، «رَدٌّ» أي: مردود، أتى باسم المصدر وقصد به اسم المفعول، أتى باسم المصدر وهو كلمة «رَدٌّ» وقصد به اسم المفعول أي المردود.

مثل كأن تقول مثلًا: ﴿هَذَا خَلْقُ اللهِ﴾ [لقمان:١١]، وتشير إلى كائن حي مثلًا، وهو في الحقيقة الكائن هذا مخلوق الله. صح؟ والخلق هي عملية الخلق. واضح؟ ولكن هذا من باب إطلاق اسم المصدر ويقصد به إيش؟ اسم المفعول.

وأحيانًا يُطلق اسم المصدر ويُقصد به اسم الفاعل، مثل: عدل.. فلانٌ عدلٌ. والمقصود به إيش؟ عادل أو ذو عدلٍ.

المهم «**فَهُوَ رَدٌّ**» أي: فهو مردود، وهذا الحديث أصلٌ عظيم من أصول الدين، وهذا الحديث قال عنه أهل العلم إنه نصف الدين. كيف ذلك؟ أن العبادات لا تُقبل إلا بشرطين: **الشرط الأول**: الإخلاص، **والشرط الثاني**: المتابعة للنبي صلى الله عليه وسلم.

الإخلاص يدل عليه حديث النيات السابق، **والمتابعة** يدل له هذا الحديث؛ لأن الإحداث في أمر النبي صلى الله عليه وسلم أي في دينه وفي شريعته ما لم يأتِ به هذا بدعة ومخالفٌ للشرط

الثاني من شروط قبول العبادة وهو الاتباع، فما يُقبل من الإنسان إلا ما اتَّبع فيه النبي صلى الله عليه وسلم من العبادات.

ثم إن المشكلة في البدع أنها فيها استدراكٌ على النبي عليه الصلاة والسلام وعلى الله عز وجل؛ الذي يبتدع بدعة جديدة ويتعبَّد الله عز وجل ببدعة هذا لسان حاله أنني سبقت النبي عليه الصلاة والسلام أو أنني أتيتُ بما لم يأتِ به النبي صلى الله عليه وسلم وبما لم يأمر به الله، فكأنه يستدرك على النبي عليه الصلاة والسلام أو يستدرك على الله، وكأن لسان حاله يقول: أتيتُ بما لم تأتوا به، وهذا لا شك أنه ضلال. واضح؟

فالأصل في رد البدع هو هذا، والبدع عرَّفها الإمام الشاطبي رحمه الله في كتابه «الاعتصام» بأنها: طريقةٌ في الدين مخترَعة تضاهي الشرعية، أي تضاهي الطريقة الشرعية، يُقصد بها التعبد لله عز وجل.

ومن هنا أخذ العلماء أيضًا أصلًا من أصول الدين العظيمة وهي أن الأصل في العبادات المنع، فمن ادعى أن هذا الأمر عبادة وأنكرها رجل فالمطالَب بالدليل من ادَّعاها، هو الذي يُطالَب بالدليل، بخلاف العادات والمعاملات والأمور الدنيوية فالأصل فيها الحل والإباحة، والمانع هو المطالَب بالدليل.

أما في أمور العبادات فالمثبِت هو المطالَب بالدليل، طالما أنه لا دليل لك فلا يجوز لك أن تتعبد بهذا الأمر.

«رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، وَمُسْلِمٌ، وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ: مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»، وهو بمعنى الحديث السابق أو بمعنى اللفظ السابق.

ثم قال رحمه الله: الحديث السادس

«عَنِ أبي عبد الله النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: إِنَّ الْحَلَالَ بَيِّنٌ وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ، لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ فقد اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ، كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمَى، أَلَا وَإِنَّ

حِمَى اللَّهِ تَعَالَى مَحَارِمُهُ، أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ».

راوي الحديث أبو عبد الله النعمان بن بشير رضي الله عنهما صحابي ابن صحابي، وهو النعمان بن بشير بن سعد رضي الله عنهما، سكن في آخر حياته الشام وتأمَّر أو صار أميرًا أو واليًا على منطقةٍ فيها سمِّيت باسمه إلى اليوم وهي «معرَّة النعمان»، سُمِّيت على هذا الصحابي الجليل النعمان بن بشير لأنه سكنها وصار واليًا عليها فترةً من الزمن فسُميت باسمه رضي الله عنه.

وأبوه صحابي بشير بن سعد رضي الله عنه وأمه كذلك، أمه عمرة بنت رواحة أخت عبد الله بن رواحة رضي الله عنهما، وهي المرأة التي أبت أن ينحل بشير أحد أبنائه هديةً أو يعطيه هدية دون الآخرين، قالت: لا أقبل حتى تُشهد النبي صلى الله عليه وسلم. نعم.

«قال النُّعْمَانِ رضي الله عنه: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: إِنَّ الْحَلَالَ بَيِّنٌ وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ»، بيَّن النبي عليه الصلاة والسلام أن الأفعال ثلاثة أشياء أو ثلاثة أنواع: إما حلالٌ بيِّن واضح، وإما حرامٌ بيِّن واضح، وإما مشتبهات.

«مشتبهات» يعني اختلط الحلال فيها بالحرام، ولكن من فضل الله أنه لا يوجد أمر مشتبه على كل الناس، لذلك قال: «**لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ**»، أما العلماء الراسخون وأهل العلم لأ؛ عندهم دائرة المشتبهات قليلةٌ جدًا. واضح؟ وكلما اتسع علم الإنسان كلما قلت دائرة المشتبهات عنده.

وبحمد الله أن الأمور البيِّنة أكثر من الأمور المشتبهة؛ فالحلال البيِّن لا يُحصى، والحرام البيِّن كذلك، وهناك أمورٌ مشتبهة يعني يُختلف فيها أو يعني اختلط فيها الحق بالباطل، مشتبهة.

فماذا أرشدنا النبي عليه الصلاة والسلام؟ قال: «**لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ**»، ترك النوعين الأولين وأتى إلى النوع الثالث. لماذا؟ لأن حكم النوعين الأولين واضح، الحلال يجوز والحرام إيش؟ يُترك، فأعرض عنه النبي عليه الصلاة والسلام في هذا الحديث وانتقل إلى النوع الثالث وهو المشتبهات وأرشدنا إلى تجنبها فقال: «**وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ**»، «**اتَّقَى**

الشُّبُهَاتِ» أي: جعل بينه وبينها وقاية وحاجزًا وابتعد عنها ولم يكتفِ بتركها فقط، لأ؛ بل جعل بينه وبينها حاجزًا وقايةً بالبعد عنها وتركها وشأنها.

فمن فعل ذلك استفاد فائدتين: **الفائدة الأولى**: استبرأ لدينه، أي طلب براءة دينه من الإثم، يعني حصل على البراءة لدينه من الآثام.

فإن قال قائل: لماذا من تجنب الشبهات يستبرئ دينه؟ نقول: لأن الشبهات تجرُّ إلى الحرام. واضح؟ لذلك النبي عليه الصلاة والسلام قال ذامًا السارق: «**يسرق البيضة فتُقطع يده**»، رغم أن البيضة ليست نصابًا في السرقة. قال العلماء: نعم البيضة لا يُقطع فيها ولكنها سبيلٌ ووسيلةٌ وذريعة لأن يسرق ما هو إيش؟ أكثر منها. واضح؟ فنُهي عنها، طيب هذه الفائدة الأولى أن الذي يبتعد عن الشبهات يكون بمنأى بدينه عن أن يلطخه بالآثام.

الفائدة الثانية: يستبرئ لعِرْضِه أيضًا، والعِرْض ما هو؟ العِرْض هو محل المدح والذم من الإنسان، وذلك أن الإنسان إذا أتى إلى مواطن الشبهات ورآه من الناس فإنهم سيتكلمون فيه وينسبون إليه ما ليس فيه.

فمثلًا من مواطن الشبهات أماكن الفسق والفجور، الأماكن التي يكثر فيها الفسق والفجور، فهل إتيانها حرامٌ بيِّن إذا لم يفعل الإنسان حرامًا؟ نقول: لأ، إتيانها من المشتبهات، إذا واحد قال: أنا أذهب إلى المكان الفلاني الذي يكثر فيه معصية الله ولكن لن أفعل معصية. نقول: هذا من المشتبهات، ابتعد عنه. لماذا؟ لأنك إذا ذهبت إليه ربما تضعف نفسك فتقع في الحرام، هذا واحد، اثنين: ربما يتكلم الناس فيك، ربما يراك أحد من الناس فلا يقول: رأيتُ فلانًا فقط في المكان الفلاني بل يقول: رأيتُه يفعل كذا وكذا. واضح؟

والشرع يأمرنا ويحثنا أن نصون أعراضنا عن كلام الناس، وذلك لأن النبي صلى الله عليه وسلم كما تعلمون في الحديث الشهير أتته صفية زوجته في ليلةٍ من الليالي وهو معتكفٌ في المسجد وتحدث معها إلى هزيعٍ من الليل، فلما أرادت أن ترجع إلى بيتها خرج النبي عليه الصلاة والسلام معها ليقلبها إلى بيتها، يعني ظلام وليل فحمايةً لها أراد أن يرجعها، فرآه اثنان من الصحابة يمشي.. صادفوه في الطريق فابتعدوا عنه، فناداهما النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «**على**

رسلكما، إنها صفية». لاحظ؟ فقالا: سبحان الله، استغربوا يعني لماذا تشرح لنا يا رسول الله إنها صفية؟ هل يعني هل إحنا راح نشك فيك؟ فماذا قال عليه الصلاة والسلام؟ قال: «إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم، فخشيت أن يقذف في قلوبكما شيئًا»، فأراد النبي عليه الصلاة والسلام أن يعلمنا.

مهما كنت من التقى والصلاح والسمعة الحسنة إياك ومواطن الشبهات، إذا اتقيتها ستستبرئ لدينك وتستبرئ أيضًا لعِرضك فلا يتكلم فيك الناس.

«وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ»، يعني من تساهل واقترب من المعاصي والذنوب وحام حولها فإنه سيقع فيها. لماذا؟ لأن الإنسان ضعيف وشهوته غالبة، والشُبَه والشهوات خَطَّافة، والشيطان يوسوس، فإذا اقترب الإنسان من الحرام ما أسرع أن تزل قدمه فيه.

وشبَّه النبي عليه الصلاة والسلام هذا الأمر بمشهد يوضح القضية. ما هو هذا المشهد؟ قال: «كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ»، الراعي راعي الغنم، يأتي إلى الحِمَى، والحِمَى هو المكان الذي يحميه الإمام ويمنع من الرعي فيه، يقول: ابتعدوا عن الحَمَى فلا ترعوا فيه.

فالراعي الفطن لا يأتي بأغنامه إلى حدود الحِمَى. لماذا؟ لأن الأغنام صحيح هي في الجملة تحت سيطرته ولكن ربما خرجت شاةٌ بالخطأ فوقعت وين؟ في الحِمَى، وهذا تشبيهٌ بليغ لأن الأغنام مثل النفس، صحيح أنت مسيطر على نفسك في الجملة لكن أحيانًا يأتيك ضعفٌ لا تستطيع أن تسيطر على نفسك فيه. واضح؟

لذلك قال: «كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى»، يعني أتى بأغنامه قال: أنا لن أدخل الحِمَى ولكن أتى عند حدوده، فهذا قال عليه الصلاة والسلام: «يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ»، يعني: أن تدخل أغنامه إلى هذا الحمى.

ثم قال عليه الصلاة والسلام: «أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمَى، أَلَا وَإِنَّ حِمَى اللَّهِ تَعَالَى مَحَارِمُهُ»، جلى لنا النبي صلى الله عليه وسلم هذا المشهد وأسقطه على ما يريده من معنى، وبيَّن أن الحِمَى المقصود بالتمثيل هو محارم الله.

لذلك لا تكتفي وتقول: أنا سأمر على السور فقط لن أدخل، نقول: إذا فعلت ذلك يوشك

أن تدخل. ماذا تفعل؟ أن تبتعد عنها، لذلك قال الله عز وجل: {وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَى} [الإسراء:٣٢]، ما قال: ولا تزنوا، قال: {وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَى}.

ثم قال عليه الصلاة والسلام: «**أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ**»، «**أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً**»، والمضغة قطعة من اللحم، وقال عليه الصلاة والسلام ذلك أشار إلى القلب في ذلك لبيان أعجوبة هذا القلب لصغر حجمه وأنه مضغة ومع ذلك تأثيره كبير.

لذلك قال بعض أهل العلم: إن القلب صغير الجِرْم عظيم الجُرْم، «صغير الجِرْم» يعني الحجم، ولكن عظيم الجُرْم، ربما يهلك الإنسان ويدخله والعياذ بالله خالدًا مخلَّدًا في نار جهنم.

والقلب شبهه النبي عليه الصلاة والسلام بسيد الأعضاء؛ لأن الإنسان لا يهتدي أو لا يفعل الأفعال بمجرد جوارحه، تجد الإنسان مثلًا فيه صحة وعافية وقادر على فعل كل شيء، ولكنه يعجز عن صلاة ركعتين. هل لعجزٍ في بدنه، لا وإنما سيد هذه الأعضاء وهو القلب عاجزٌ عن ذلك، تجده واهن الجسم ضعيف البدن يفعل ما لا يفعله قوي البدن. لماذا؟ لأن قلبه قوي.

لذلك أشار النبي عليه الصلاة والسلام إلى أن نصلح قلوبنا، أن نركز على النقطة أو العضو المؤثر في حياتنا وهو القلب أو الروح، لأن القلب هذا إذا صلح صلح الجسد كله وإذا فسد هذا القلب فسد الجسد كله، «**أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ**»

والقلب سُمِّي «قلبًا» لكثرة تقلبه كما قال الشاعر: وما سمِّي الإنسان إلا لنسيه ولا القلب إلا أنه يتقلب، الإنسان سُمي إنسانا لكثرة نسيانه والقلب سُمِّي قلبًا لكثرة تقلبه، وهذا يفيدنا إلى العناية بالقلب لأن إصلاح القلوب سبيلٌ لإصلاح بقية أعضاء الجسد.

ثم قال رحمه الله: الحديث السابع

«عَنْ أبي رُقية تَمِيم بن أوسٍ الدَّارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: الدِّينُ النَّصِيحَةُ قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِم. رَوَاهُ مُسْلِمٌ».

«**أبو رُقية تَمِيمِ بن أوسٍ الدَّارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**»، وتَمِيمٍ الدَّارِيِّ صحابيٌّ جليل اختُلف في

نسبته، فقيل: الدَّارِيّ نسبةً إلى جدٍّ له اسمه دار أو الدار، وقيل: إلى دارين.. إلى بدة دارين، وقيل: إلى ديرين، أي معبد كان يتعبد فيه، ويعني أقوال لأهل العلم في هذه النسبة.

وتَمِيم الدَّارِيّ رضي الله عنه من مناقبه أن النبي صلى الله عليه وسلم روى عنه حديث الجساسة الشهير، لما خطب على المنبر وقال: حدثني تميم الداري بكذا وكذا، وهذا يسمى عند علماء الحديث «رواية الأكابر عن الأصاغر»، وهذا من مناقبه رضي الله عنه.

يقول عليه الصلاة والسلام: «**الدِّينُ النَّصِيحَةُ**»، النَّصِيحَةُ مأخوذٌ من النُصْح، والنُصْح هو تخليص الشيء من الشوائب، نصحتُ اللبن أن خلَّصتُه من الشوائب، فالنَّصِيحَةُ بمعنى التصفية وإخراج الشوائب وإخراج القدر وجعل الشيء صافيًا، هذا في اللغة.

والمعنى الاصطلاحي للنَّصِيحَةُ مُستمدٌّ ومُشتقٌّ من المعنى اللغوي، والمقصود بالنَّصِيحَةُ في الاصطلاح: هي كلمةٌ جامعة تعني إرادة الخير للمنصوح.

ويدخل فيها الإرشاد والتوجيه، وإن كان الغالب الآن في كلمة «نصيحة» تُعطى لإيش؟ لتوجيه، لو إنسان قال: عندي نصيحة يعني: توجيه. نقول: نعم هذا أحد أفراد النصيحة ولكن ليس ذلك كل النصيحة.

نعم من نصحك ووجهك للخير لا شك أن هذا قد أراد لك الخير، ولكن ليس فقط هذا هو مسمى النصيحة، بل النصيحة هي الدين كله وهذا الحديث دليلٌ على هذا.

قال عليه الصلاة والسلام: «**الدِّينُ النَّصِيحَةُ**»، كل ما يتعلق بالدين مبني على النصيحة.

«**قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: لِلَّهِ**»، النصيحة لله، «**وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ**»، النصيحة لله وذلك بتوحيده وإفراده بالعبادة وطاعته واجتناب نواهيه وفعل أوامره، هذا معنى النصيحة لله.

والنصيحة للرسول صلى الله عليه وسلم باعتقاد نبوته وبتوقيره وتعظيمه وباتباع سنته وبتصديقه في أخباره وبطاعته في أوامره ونواهيه، هذا معنى النصيحة للرسول عليه الصلاة والسلام.

«**وَلِكِتَابِهِ**» أي: للقرآن، النصيحة للقرآن أي بالعمل به وإقامة حدوده والعناية به قراءةً وحفظًا وتدبرًا، كل هذه المعاني تدخل تحت النصيحة لكتاب الله.

«**وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ**»، النصيحة لِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وذلك بإرادة الخير لهم وعدم خيانتهم وعدم إبطان الشر للبلد أو لولاة الأمر، وكذلك يدخل فيه توجيههم ونصحهم وإرشادهم إلى الخير، وكذلك عَامَّتِهِمْ.. عامة الناس، النصيحة لعامة الناس أي بتوجيههم ويعني عدم غشهم وأن يحب لهم ما يحبه لنفسه.

إذًا نلحظ من ذلك أن كلمة النصيحة دخل فيها الدين كله، كل ما يتعلق بالدين، بالله عز وجل وبالرسول عليه الصلاة والسلام وبالقرآن الكريم وبأئمة المسلمين وعامتهم يسمى نصيحة.

«**رَوَاهُ مُسْلِمٌ**»

(شرح متن الأربعين النووية)

لفضيلة الشيخ الدكتور

مطلق الجاسر

حفظه الله

المجلس الرابع

بسم الله الرحمن الرحيم
١٤٣٨
الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين
سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

قال رحمه الله: الحديث الثامن

«عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ، عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ، إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ».

هذه الحديث يقول عليه الصلاة والسلام: «أُمِرْتُ»، ولا شك أن المقصود به رب العالمين سبحانه وتعالى، لأن النبي صلى الله عليه وسلم لا يُؤمر من قبل البشر بأمر يتعلق بالدين، وإنما يُؤمر من قبل ربه سبحانه وتعالى.

«أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ»، «أُقَاتِلَ» يختلف معناها عن «أقتل»؛ فالمقاتلة لا تستلزم القتل بالضرورة وإنما المقاتلة أي: نوع من الإجبار أو إن صح التعبير نوع من إبعاد كل من يقف في طريقنا لنشر ديننا وإظهار دين الله عز وجل.

«أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ»، «النَّاسَ» كلمة عامة في الأصل تشمل كل الناس، ولكن هل المقصود بها هنا فعلًا كل الناس؟ الجواب: لا، وهذا يسمى عند علماء الأصول بـ«العام المراد به الخصوص».

لأن «العام» عندنا إما عام غير مخصوص أو عام مخصوص أو عام مرادٌ به الخصوص، وهذا تفصيلها في علم الأصول، ولكن القسم الثالث وهذا ما يهمنا هنا المقصود بالعام المراد به الخصوص أن يُطلق لفظٌ عام ولكن المقصود به فئةٌ معينة.. فئةٌ خاصة.

ومن شواهد ذلك ومن أمثلته قول الله عز وجل: {الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ} [آل عمران:١٧٣]، {الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ} من المقصود بـ {النَّاسُ}؟ رجل واحد فقط هو نعيم بن مسعود، {إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ}، هل المقصود به الناس كلهم؟ لا؛ المقصود به أهل مكة، وهذا مثالٌ حي على العام المراد به إيش؟ الخصوص.

إذا عرفنا ذلك فمن المقصود بهذا الحديث؟ قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله معلقًا على

هذا الحديث قال: مراده قتال المحاربين الذين أذن الله في قتالهم، ولم يرد قتال المعاهَدين الذين أمر الله بوفاء عهدهم. انتهى كلامه من مجموع الفتاوى الجزء التاسع عشر صفحة ٢٠.

مرة أخرى يقول شيخ الإسلام في هذا الحديث: مراده قتال المحاربين الذين أذن الله في قتالهم، إذًا ليس كل الناس، المقصود بهم هنا المحاربون الذين يعني الكفار الذين اتصفوا بصفة المحاربة للدين، ولم يرد قتال المعاهَدين الذين أمر الله بوفاء عهدهم.

طيب نقاتلهم إلى أي غاية؟ قال: «**حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ**»، يعني حتى يسلموا، «**وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ**»، يعني لا يكتفوا فقط بالنطق – نطق الشهادتين – دون حقيقة أفعال الإسلام، وإنما يقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة.

«**فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ، عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ، إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ**»، فتكون دماؤهم معصومة وتكون أموالهم معصومة إلا بحق الإسلام، أي إلا بالحدود الشرعية المقررة في الإسلام؛ لأن المسلم ماله معصوم، «**إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ**»، يعني إذا ارتكب ما يوجب أخذ ماله فإنه يؤخذ ماله وإن كان مسلمًا، كذلك إن فعل ما يوجب إهدار دمه فإنه يُهدر دمه وإن كان مسلمًا كما سيأتينا بعد قليل إن شاء الله.

قال: «**وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى**»، وهذا الحديث فيه إشارة إلى أصلٍ مهم من أصول التعامل مع الناس، وهو الأخذ بظواهر الناس وترك بواطنهم لله عز وجل، فنحن لسنا مأمورين بأن ننبش عن قلوب الناس، ولو ادعى من ادعى أنه مسلم وعندي شك في ذلك لا يجوز أن أعامله بشكي، وإنما آخذ الظاهر والله سبحانه وتعالى يتولى السرائر.

وهذا معنى قوله عليه الصلاة والسلام: «**عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ**»، إذا نطق الشهادتين خلاص يعتبر مسلم معصوم الدم ومعصوم المال، لكن قد يكون في الباطن غير مسلم، ممكن قالها خوفًا فقط، نقول: حسابهم على الله سبحانه وتعالى. «**رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ**».

ثم قال رحمه الله: الحديث التاسع

«**عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عبد الرحمن بن صخر رَضِيَ اللَّهُ تعالى عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: مَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَاجْتَنِبُوهُ، وَمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فافعلوا مِنْهُ مَا**

اسْتَطَعْتُمْ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَثْرَةُ مَسَائِلِهِمْ وَاخْتِلَافُهُمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ».

أبو هريرة صحابي جليل، عبد الرحمن بن صخر الدوسي، و اختُلف في اسمه على أقوال كثيرة أصحها هذا وهو عبد الرحمن بن صخر، كُني بأبي هريرة لقطةٍ أو هرة صغيرة كان يعتني بها فسُمي بأبي هريرة يعني على هذه القطة.

يقول: «**سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: مَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَاجْتَنِبُوهُ، وَمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فافعلوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ**»، في هذا الحديث يقول عليه الصلاة والسلام: «**مَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَاجْتَنِبُوهُ**»، ولم يقل عليه الصلاة والسلام: فاجتنبوه ما استطعتم، وإنما جزم بالاجتناب.

ولما أتى لفعل الأمر قال عليه الصلاة والسلام: «**وَمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فافعلوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ**»، ولم يقل: فافعلوه. لماذا؟ وما الفرق بينهما؟

الجواب: أن فعل الأمر.. أن الفعل هو الإتيان هو نقل الشيء من العدم إلى الوجود، مثل الصلاة مثلًا؛ لما تُؤمَر بالصلاة فأنت تأتي بصلاةٍ كانت معدومة وتوجدها وهذا يستلزم فعلًا ويستلزم حركةً ويستلزم قدرة وهذا قد لا يتأتى لكل الناس، لذلك قال عليه الصلاة والسلام: «**وَمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فافعلوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ**».

أما النهي والأمر بالاجتناب فليس فيه إخراج الشيء من العدم إلى الوجود، وإنما فيه ترك العدم على عدمه، فالمطلوب منك فقط أن تمتنع عن فعل شيء وهذا أمرٌ لا يستطيع أحدٌ أن يزعم أنه لا يستطيعه.

فمثلًا الزنا ما يأتي واحد يقول: أنا ما أستطيع أني ما أزني، لأ لأن ترك الزنا هو أن تمتنع فقط، ليس مطلوب منك فعل معين، بل المطلوب منك الامتناع عن الفعل، والامتناع مقدورٌ للجميع.

وأخذ العلماء من هذا الحديث قاعدةً فقهية مهمة وفيها نظائر وفروع كثيرة وهي: «درء المفاسد مقدمٌ على جلب المصالح». من أين أتينا بهذه القاعدة؟ من الحديث لأن الانتهاء عن المعاصي درءٌ لمفسدة وفعل الطاعات جلبٌ لمصلحة، والنبي صلى الله عليه وسلم في درء المفسدة جزم ولم يقيده بالاستطاعة، وفي فعل المصلحة.. جلب المصلحة قيدها بإيش؟ بالاستطاعة، فقال:

«**وَمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فافعلوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ**».

ومن هنا أيضًا أخذ العلماء قاعدةً فقهية وهي أن: «الميسور لا يسقط بالمعسور»، يعني من أمثلتها من قُطعت يده مثلًا من وسط الذراع أو من كفه فإنه لا يستطيع أن يغسل كفه لأنه مقطوعة، ولكن يستطيع أن يغسل ما تبقى، فنقول: الميسور وهو غسل ما تبقى من اليد لا يسقط بإيش؟ بالمعسور، كونك لا تستطيع أن تغسل كفك لا يسقط بذلك غسل ما تبقى من اليد. واضح؟

كذلك أخذ منها العلماء: من عنده ماءٌ لا يكفي لجميع وضوءه، قالوا: «**إذا أَمَرْتُكُمْ بِأمر فأتوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ**» يتوضأ حتى ينفد الماء.. حتى ينتهي، ويكون هنا قد أتى بما يستطيع، وفروع هذه القاعدة كثيرةٌ جدًا.

قال: «**فَإِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَثْرَةُ مَسَائِلِهِمْ وَاخْتِلَافُهُمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ**»، أرشد النبي عليه الصلاة والسلام لسببين من أسباب هلاك الأمم السابقة، السبب الأول: كثرة المسائل، المقصود بـ«المسائل» هنا أي: ما لا فائدة فيه من مسائل العلم، وليس المقصود به جميع المسائل، بل العلم النافع الاستزادة منه مفيدةٌ نافعةٌ مطلوبة.

طيب ما المقصود هنا؟ المقصود: ما لا ينفع من العلم، ويدل على ذلك سبب هذا الحديث؛ فإن سبب الحديث أن النبي عليه الصلاة والسلام سُئل عن تكرار الحج، قال: أفي كل عامٍ يا رسول الله؟ فسكت النبي عليه الصلاة والسلام ثم قال: «**لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم**»، ثم قال: «**مَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَاجْتَنِبُوهُ، وَمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فأتوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَثْرَةُ مَسَائِلِهِمْ وَاخْتِلَافُهُمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ**».

فعرفنا من ذلك أن المقصود به المسائل غير النافعة، ويدخل فيها ما يسمى بغرائب العلم وعويص العلم والأمور التي لا تنفع، وكلام السلف في ذمِّها مشهورٌ معروف.

الأمر الثاني: اختلافُهم على أنبيائهم، الصواب في كلمة اختلافُهم ضم الفاء. لماذا الصواب ضم الفاء؟ لأننا إذا قلنا «وَاخْتِلَافُهُمْ» يكون معطوفًا على إيش؟ على «كَثْرَةُ»؛ «**فَإِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَثْرَةُ مَسَائِلِهِمْ وَاخْتِلَافُهُمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ**».

طيب إذا كسرنا الفاء هل يتغير المعنى أم لا يتغير؟ إذا قلنا «وَاخْتِلَافِهِمْ»؟ الجواب: نعم؛ لأننا إذا كسرناها سيكون معطوفًا على «مَسَائِلِهِمْ». واضح؟ ويكون المعنى أن سبب الهلاك ليس مجرد الاختلاف وإنما كثرة الاختلاف، ولكن الصواب أن مطلق الاختلاف وليس كثرته، أي اختلاف هو الذي يسبب الهلاك، فالصواب هو العطف على كلمة «كَثْرَةُ» وليس على كلمة «مَسَائِلِ».

والاختلاف هنا المقصود به: المخالفة.. أن يأمر النبي صلى الله عليه وسلم بشيء فيخالفونه ويعارضونه بعقولهم أو أهوائهم أو نحو ذلك. «**رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ**».

الحديث العاشر

قال: «عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالى عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا».

الطيب.. كلمة طيب في اللغة تُطلق على أمور منها: المستلذ من الأطعمة، ومنها الحلال، ومنها الطاهر المنزَّه عن العيب، كل هذا بمعنى الطيب، وهنا لما قال النبي عليه الصلاة والسلام: «**إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى طَيِّبٌ**» المقصود به: أي منزَّهٌ عن النقائص لأن هذا إحدى استعمالات كلمة «طيب» وهو المنزَّه عن النقائص والعيوب.

«**لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا**» أي حلالًا، وذلك في الصدقات والزكاة إذا تصدَّق الإنسان بمالٍ غير طيب يعني غير حلال لا يقبله ربنا سبحانه.

«وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ، فَقَالَ تعالى: {يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا} [المؤمنون: ٥١]، وَقَالَ تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ} [البقرة: ١٧٢]».

وهذا فيه أن الأصل في الأوامر الموجهة للأنبياء والرسل عمومها لكل الناس ما لم يأتِ دليلٌ على خلاف ذلك، فأي خطابٍ موجهٍ للنبي عليه الصلاة والسلام إذا خلا عن ما يدل على الخصوصية فالأصل أنه عامٌّ لكل الناس. لماذا؟ لأن النبي عليه الصلاة والسلام قال هنا: «**وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ**»، معناته أن كل أمر للمرسلين فليدخلوا تحت هذا الأمر المؤمنون، وهذه الآية مثالٌ على ذلك.

«**ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ**»، من القائل ثم ذكر الرجل؟ أبو هريرة، أبو هريرة قال: «**ثُمَّ ذَكَرَ**» أي النبي عليه الصلاة والسلام، يعني أن النبي عليه الصلاة والسلام «**ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ**».

«**ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ**»، «**يُطِيلُ السَّفَرَ**»، السفر معروف، «**أَشْعَثَ أَغْبَرَ**»، الشعث هو تغير في هيئة الإنسان، الشعر ونحوه، والأغبر تغيرٌ في هيئة لبسه، يعني متأثر بالسفر،

«**أَشْعَثَ أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ: يَا رَبِّ يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجابُ لِذَلِكَ؟ رَوَاهُ مُسْلِمٌ**».

هذا الحديث فيه جملة من آداب الدعاء ذكرها النبي صلى الله عليه وسلم لرجل أتى بهذه الآداب وأتى بأمور تؤدي إلى استجابة الدعاء ولكنه رغم ذلك مُنع وحُرم من الإجابة. ما هي هذه الآداب؟

أولًا: السفر بحد ذاته من مظان إجابة الدعاء، وكل مسافرٍ له دعوةٌ مستجابة، «**يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ**»، وهذا أدبٌ من آداب الدعاء وهو رفع اليدين عند دعاء ربنا سبحانه وتعالى، ورفع اليدين عند الدعاء مستحبٌ وقد ثبت في السنة بالتواتر المعنوي، يعني كثرة الروايات والأحاديث الدالة على استحباب رفع اليدين في الدعاء بلغت حد التواتر ولكنه تواترٌ معنوي.

الأدب الثاني من آداب الدعاء الإلحاح؛ لأنه قال: «**يَا رَبِّ يَا رَبِّ**». واضح؟ فهذا أدب من آداب الدعاء أن يلح، والله عز وجل يحب الملحين في الدعاء، ولكنه رغم ذلك.. رغم أنه أتى بثلاثة أمور كل واحد منها يؤدي إلى استجابة الدعاء ولكنه مع الأسف «**مَطْعَمُهُ حَرَامٌ**»، يعني ما يأكله حرام، «**وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ**»، «**غُذِيَ**» يعني نبت جسمه ولحمه من مالٍ حرام.

«**فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ**»، و«أَنَّى» كلمة استبعاد وليس فقط كلمة منع.. ليس فقط تدل على الحرمان والمنع، بل تدل على الاستبعاد، يعني بعيد جدًا جدًا أن يُستجاب له، وهذا فيه دليلٌ واضح على أن المال الحرام من أعظم موانع إجابة الدعاء، ومفهومه أن الأكل المال الحلال

من أعظم أسباب إجابة الدعاء. «رَوَاهُ مُسْلِمٌ».

الحديث الحادي عشر

قال: «عَنِ أبي محمد الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ بن أبي طالب سِبْطِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرَيْحَانَتِهِ رَضِيَ اللَّهُ تعالى عَنْهُما قَالَ: حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيبُكَ. رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ والنَّسَائِيُّ، وقال التِّرمذِيُّ: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ».

أبو محمد الحسن بن علي بن أبي طلب رضي الله تعالى عنه وهو سبط النبي عليه الصلاة والسلام، و«السبط» هو ابن البنت، ابن البنت يسمى «سبطًا»، وريحانته، وقد أخذها المصنف من حديث النبي عليه الصلاة والسلام عن الحسن والحسين قال: «**هما ريحانتيَّ من الدنيا**»، ولذلك لأن النبي عليه الصلاة والسلام كان يحب رؤيتهما ويستمتع بذلك.

وهو مناقبه عظيمة رضي الله تعالى عنه وهو من أهل الجنة جزمًا لأن النبي صلى الله عليه وسلم شهد له بذلك فقال عليه الصلاة والسلام: «**الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة**»، وأيضًا قال عليه الصلاة والسلام عن الحسن قال: «**إن ابني هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين**»، وهذا قد حصل وهذا من دلائل النبوة لأن الحسن رضي الله عنه تنازل في عام الجماعة سنة ٤٠ من الهجرة بالخلافة لمعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه وتصالح المسلمون بعد أعوامٍ من الفتن واجتمعوا فسُمِّي عام الجماعة وحصل ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم.

يقول: «**حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيبُكَ**»، «**يَرِيبُكَ**» تُنطق بالفتح والضم، «يَرِيبُكَ» و«يُرِيبُكَ»، والفتح أفصح وأشهر، ويصح الضم، وكلمة «يَرِيبُكَ» مأخوذة من الريبة، والريبة بمعنى الشك.

يعني دع ما تشكُّ فيه إلى ما لا تشكُّ فيه، وهذا الحديث أصلٌ عظيم من أصول الدين وهو أصل الورع، والورع روي عن أم المؤمنين عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: خير دينكم الورع.

والورع يختلف عن الزهد؛ فالورع هو ترك ما لا بأس به خوفًا من الوقوع فيما به بأس، ويشهد

لذلك حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما السابق؛ فإنه بمعنىً متقارب معه، والمقصود به المشتبهات، فترك المشتبهات من الورع.

والزهد يختلف عن الورع بأنه ترك ما لا ينفع في الآخرة، فالزهد ترك ما لا ينفع في الآخرة، والورع ترك ما يُخشى ضرره في الآخرة، أو التعريف الثاني: ترك ما لا بأس به خوفًا من الوقوع مما به بأس.

وهذا الحديث أصلٌ عظيم يأمرنا به النبي عليه الصلاة والسلام بالورع أن نترك ما نشك فيه إلى أمرٍ لا نشك في إباحته وجوازه، وهو مطابقٌ للحديث السابق حديث النعمان بن بشير رضي الله تعالى عنهما.

ثم قال رحمه الله: الحديث الثاني عشر

«عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ تعالى عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ. حديثٌ حسنٌ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَغيْرُهُ».

هذا الحديث فيه أدب عظيم من آداب المسلم التي ينبغي أن يعتني بها، بل لا يحسن إسلامه إلا به، وهو ترك ما لا يعنيه، قوله: «**يَعْنِيهِ**» أي: تتعلق عنايته به، فتقول: هذا الأمر يعنيني أي: عنايتي تتعلق به أو لي ارتباطٌ به إما في أمر الدين أو في أمر الدنيا، أما ما لا تتعلق عنايتك به فمن حسن إسلامك أن تتركه.

فما الضابط في الأمر الذي يعنيك والأمر الذي لا يعنيك؟ قال العلماء: وحدُّ ما لا يعنيك أن تتكلم بما لو سكت عنه لم تأثم ولم تتضرر في حالٍ أو مآل، مرة أخرى، الأمر الذي لا يعنيك هو الأمر الذي إذا سكت عنه وإذا تركته لن يضرك شيء ولن تأثم في حالٍ أو مآل. واضح؟ أما الأمر الذي إذا سكت عنه تضررت أو إذا سكت عنه أثمت فهذا يعنيك لا شك.

وهذا الحديث من عمل به.. إذا التزم به المسلمون سيرتاح الناس بعضهم من بعض؛ لأن الإنسان إذا تدخل فيما لا يعنيه واقتحم أمرًا لا يحسنه فإنه لن يضر نفسه فقط بل سيضر الآخرين، فيدخل في هذا من يفتي بغير علم ومن يصلح ظانًا منه أنه يصلح وهو في الحقيقة يفسد، وكل من يتدخل فيما لا يحسنه وفيما لا يعنيه فإنه في هذه الحالة يضر أكثر مما ينفع، وهذه

وصيةٌ جامعةٌ لكل أمور الخير.

قال: الحديث الثالث عشر

« عَنْ أبي حمزة أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خادمِ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ».

هذا الحديث يرويه أنس بن مالك رضي الله عنه خادم النبي عليه الصلاة والسلام، ولماذا اختُصَّ أنس رضي الله عنه بهذا اللقب رغم أن عددًا كبيرًا من الصحابة كان يخدم النبي عليه الصلاة والسلام؟ الجواب أنه قد طالت خدمته واختصَّ بخدمته رضي الله عنه؛ فإنه قد خدم النبي صلى الله عليه وسلم عشر سنين، منذ أن قدم المدينة حتى توفي النبي صلى الله عليه وسلم وهو يخدم النبي عليه الصلاة والسلام.

قال: «**لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ**»، «**لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ**» أي لا يكمل إيمانه، وليس المقصود به: يخرج من الإيمان، لا يكمل إيمانه «**حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ**»، ولاحظ قول النبي عليه الصلاة والسلام: «**لِأَخِيهِ**»، ولم يقل: للناس، ولم يقل: للمسلمين. لماذا؟ ليشير عليه الصلاة والسلام إلى الحكمة والعلة من هذا الأمر، أنه في النهاية هذا أخوك. واضح؟ أن هذا المسلم أخوك، ولا يكمل إيمانك حتى تحب له ما تحب لنفسك.

وهذا أمر وإن كان في الظاهر سهلٌ ميسور ولكنه في حقيقة الأمر يحتاج إلى مجاهدة؛ لأن النفس تحب الاستئثار وتحب أن تكون أفضل من غيرها، فإذا جاهد المسلم نفسه حتى يكون يصل إلى درجة أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه فهذا إنسانٌ قد كمل إيمانه وحسن.

وهذا الحديث يدخل في حديث تميمٍ الداري رضي الله عنه الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم: «**الدِّينُ النَّصِيحَةُ**»، وذكر منها: «**وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ**»، فمن النصيحة لعامة الناس أن تحب لهم ما تحب إيش؟ لنفسك.

وهذا فيه ما لا يخفى من التكاتف والتآلف والتحاب بين المسلمين، إذا عمل المسلمون بهذا الحديث واتصفوا بهذا الخلق فإن هذا المجتمع سيكون بعون الله وتوفيقه مجتمعًا مثاليًا.

نسأل الله أن يوفقنا وإياكم لما يحب ويرضى، نقف هنا.

﴿شرح متن الأربعين النووية﴾

لفضيلة الشيخ الدكتور

مطلق الجاسر

حفظه الله

المجلس الخامس

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين
سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد، قال المصنف رحمه الله تعالى:

الحديث الرابع عشر

«عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ إِلَّا بِإِحْدَى ثَلَاثٍ: الثَّيِّبُ الزَّانِي، وَالنَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالتَّارِكُ لِدِينِهِ الْمُفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ».

يصح في قوله: «**الثَّيِّبُ**»، وَ«**النَّفْسُ**»، وَ«**التَّارِكُ**» الرفع والجر، الجر على البدلية بدل من: «**ثَلَاثٍ**»: «بِإِحْدَى ثَلَاثٍ: الثَّيِّبِ، وَالنَّفْسِ، وَالتَّارِكِ»، والرفع على الاستئناف: الثَّيِّبُ الزَّانِي، وَالنَّفْسُ، وَالتَّارِكُ.

يقول عليه الصلاة والسلام: «**لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ**»، وهذا الحديث يشهد له نصوصٌ كثيرة في عصمة دماء المسلمين ومنها خطبة النبي صلى الله عليه وسلم الشهيرة في عرفة: «**ألا إنَّ دِمَاءَكُمْ وأَمْوَالَكُمْ علَيْكُم حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَومِكُمْ هذا في شَهْرِكُمْ هذا في بَلَدِكُمْ هذا**»، ولكن هذه العصمة قد تُهدر لمصلحةٍ أكبر لهذه العقوبات وهذه المعاصي.

وهي ثلاثة **أولها**: «**الثَّيِّبُ الزَّانِي**»، الثَّيِّبُ هو المحصن إذا زنا، والإحصان لا يتحقق إلا إذا وطئ الرجل أو وُطأت المرأة في نكاحٍ صحيح، إذا حصل ذلك فإنه يسمى ثَيِّبًا، وبالتالي إذا زنا فإنه يعاقب بالرجم ويُهدر دمه ولو كان الزنا بعد الطلاق، يعني إذا حصل إحصان ثم حصل مثلًا فرقة بطلاقٍ أو بموت ثم زنا وهو غير متزوج أيضًا يعاقب عقوبة الثيِّب. واضح؟ يعني لا يشترط حتى يعاقب عقوبة الثيِّب أن يكون متزوجًا حال زناه، لأ؛ المهم أن يحصل إيش؟ أن يكون ثيِّبًا ولو مرةً واحدة، وتفصيل ذلك في كتب الفقه.

طالب: (2:55)

الشيخ: نعم.

طالب: (2:56)

الشيخ: إذا كان النكاح باطلًا يعتبر لا قيمة له، ما تعتبر ثيِّب، أما الفاسد لأ؛ الفاسد اللي

هو اختُلف فيه، يعني بعض العلماء يصححه وبعضهم يعني يبطله، فهذا لأ؛ تعتبر ثَيِّب، يعني الفاسد تترتب عليه بعض آثار النكاح، أما الباطل لا تترتب عليه أيٌّ من آثار النكاح.

قال: «**وَالنَّفْسُ بِالنَّفْسِ**»، يعني: القاتل يقتل يُهدر دمه وإن كان مسلمًا، «**وَالتَّارِكُ لِدِينِهِ الْمُفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ**»، أي المرتد.

وهذا الحديث دليلٌ لما أجمع عليه العلماء من سالف العصر بقتل المرتد الذي يرتد عن دينه، وقد أجمعوا ونُقل إجماعهم نقله جماعاتٌ لا يُحصون، ولم يظهر القول بنفي هذا الحد إلا متأخرًا مع ضعف المسلمين وانهزامهم أمام الأفكار الوافدة، أصبحوا ضعفاء أمام المعايير الوافدة والأفكار الوافدة فأصبحوا يتحرجون من أحكامهم، فبدأ الناس يعني يقولون: لا هذا حدٌّ لم يثبت أو هذا حدٌّ سياسي أو هذا حدٌّ كذا، وهذا لم يقله أحد من أهل العلم منذ عهد النبي صلى الله عليه وسلم إلى القرن الماضي، لم يقل عالِمٍ واحد بنفي حد الردة، بل حد الردة ثابت وثبوته قطعي لا إشكال فيه، ونُقل الإجماع فيه نقله جماعاتٌ لا يُحصَون.

وَالتَّارِكُ لِدِينِهِ الْمُفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ طبعًا يستتاب، فإن تاب عُفي عنه ورجع إلى الإسلام، وإن لم يتب فإنه في هذه الحالة يُقتل.

والكلام عن حدِّ الردة وما فيه وما يتعلق حوله من شُبَه يعني له مقام آخر لعلنا نتكلم عنه في مقامٍ آخر إن شاء الله.

ورَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ

الحديث الخامس عشر

«عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ».

هذا الحديث يدل على الترابط بين العقيدة والخلق، أو العقيدة والحكم الشرعي، فالنبي عليه الصلاة والسلام ربط تلك الأخلاق وهي الصمت عن غير الخير وإكرام الجار وإكرام الضيف، هذه أخلاق عظيمة، ربطها النبي صلى الله عليه وسلم بالإيمان بالله واليوم الآخر، وهذا يدل على

أن من قوي إيمانه ازدادت عبادته وحسن خلقه، ومن ضعف إيمانه وضعفت عقيدته ضعفت عبادته وساء خلقه. لماذا؟

الربط واضح؛ أن من عظم إيمانه، ونحاول أن نربط هذا بحديث جبريل وصل إلى مرحلة الإحسان أن يعبد الله كأنه يراه، ففي هذه الحالة ستهون أمام عينيه الدنيا وسيحتسب أفعاله في الآخرة فتزين أخلاقه ويحسن ولا يتعنت أمام الماديات، فتجده يكرم لأنه بقوة إيمانه كأنه يرى الجنة رأي العين، كأنه يرى ربه سبحانه وتعالى رأي العين. واضح؟

لذلك النبي عليه الصلاة والسلام قال عن الصدقة: «**والصدقة**» إيش؟ «**برهان**»، يعني دليل. على ماذا؟ على صدق إيمانك؛ لأنك إذا كنت موقنًا بالثواب هان عليك البذل وهان عليك النفقة، أما إذا كنت شاكًا أو إيمانك بالآخرة ضعيف لن يهون عليك البذل، ستتمسك بإيش؟ بالدنيا وتتمسك بما تراه من ماديات لضعف يقينك، لذلك الربط في هذا الحديث واضح.

يقول عليه الصلاة والسلام: «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ**»، الكلام ثلاثة أنواع: إما خير وإما شر وإما لغو، النبي صلى الله عليه وسلم حثنا على النوع الأول وهو الخير ونهانا عن البقية، فالشر يجب أن نصمت عنه، واللغو يُستحب أن نصمت عنه. واضح؟ لأن النبي عليه الصلاة والسلام قال: «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ**»، وجوبًا عن الشر واستحبابًا عن اللغو، و«اللغو» هو الذي لا فائدة فيه.

والصمت يختلف عن العي ويختلف عن الخرس؛ فالصمت هو السكوت مع القدرة على الكلام، أما الخرس فهو الصمت لخللٍ في آلة الكلام، أما العي فهو الصمت لخللٍ في العلم، أو عدم القدرة على الكلام ليس لخللٍ في آلة الكلام وإنما لخللٍ في العلم وعدم القدرة على تركيب الكلمات والجمل. واضح؟

طيب، «**وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ**»، والجار أنواع كما قال الله عز وجل: **{وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ}** [النساء:36]، الجار ذي القربى هو الجار القريب، يعني الذي بينك وبينه قرابة، وهذا عليك له ثلاثة حقوق: حق القرابة وحق الجيرة وحق الإسلام، والجار المسلم عليك له حقان: حق الإسلام وحق الجيرة، والجار الكافر

عليك حق له وهو حق الجيرة، هذا أنواع الجيران باعتبار القرابة.

وهناك أنواع الجيران باعتبار الثبوت وعدمه، فعندنا جارٌ ملازم مثل جار البيت، وعندنا جار سماه الله عز وجل: ﴿الصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ﴾ وهو جارك المؤقت، سواءٌ في سكنٍ مؤقت أو في قافلة في رحلة أو زميلك في العمل ونحو ذلك، وهذا يعتبر جار أيضًا، والإسلام يطالبك له بحقوق ومراعاة إلى آخره.

والإكرام كلمةٌ عامة تشمل كل أنواع الإحسان؛ باللسان وبالقول وبالمال وبالحماية وبكف الأذى، كل أنواع الإكرام والإحسان تدخل في قوله عليه الصلاة والسلام: «**فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ**».

«**وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ**»، والضيف له حق على الإنسان حثنا عليه الإسلام.

الحديث السادس عشر

«عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ تعالى عَنْهُ أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْصِنِي. قَالَ: لَا تَغْضَبْ. فَرَدَّدَ مِرَارًا»، **يعني: أوصني، قال: لَا تَغضَب، قال: أوصني، قَالَ: لَا تَغضَب** «قَالَ: لَا تَغْضَبْ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ».

أولًا: هذا الرجل الذي سأل النبي عليه الصلاة والسلام هذه الوصية اسمه: جارية بن قدامة رضي الله عنه، وهذا الحديث فيه حسن سؤال الصحابة لأنهم يسألون عما ينفعهم؛ فقد سأل النبي عليه الصلاة والسلام قال: أوصني.

وهذا السؤال يدل على حرص، يريد الوصية من النبي عليه الصلاة والسلام ليعمل بها، فقال عليه الصلاة والسلام: «**لَا تَغْضَب**»، النبي عليه الصلاة والسلام سُئل عدة مرات: أوصني، من أكثر من رجل، وكان في كل مرة يوصي بوصية مختلفة. صح؟ فلماذا؟ قال العلماء: كان النبي صلى الله عليه وسلم يراعي في الوصية حال الموصَى، فإذا رأى من الرجل غضبًا أو جنوحًا للغضب أوصاه بعدم الغضب، وإذا رآه مثلًا مقصرًا في جانب أوصاه بالعناية به ونحو ذلك.

وهذا يعطينا أصل تربوي وهو مراعاة الفروق الفردية بين المتربين، وكذلك يعطينا أصل دعوي وهو مخاطبة الناس حسب ما يحتاجونه وحسب ما يفهمونه، وألا تخاطب إنسانًا بما لا يحتاجه أو

بما لا يفهمه، كل هذا نأخذه من هذا الحديث.

قال عليه الصلاة والسلام: «**لَا تَغْضَب**»، فكأن الرجل استصغر الوصية لأنها عبارة عن كلمتين، وكأنه أراد المزيد، فكرر، قال: طيب غير هذا، أوصني بعد، قال: «**لَا تَغْضَب**»، قال: أوصني. قال: «**لَا تَغْضَب**».

فكرر مرارًا لأنه ظن أن صغر كلمات الوصية يعني لا يدل على عظمها، وهذا ظنٌّ ليس في محله؛ لأن الوصية ليست بعدد كلماتها وإنما الوصية ببركة فعلها؛ فإن عدم الغضب يجر إلى خيرٍ عظيم. لماذا؟ لأن المعاصي والذنوب إذا تأملناها نجدها ترجع إلى علتين: العلة الأولى: الغضب، والعلة الثانية: الشهوة، فالغضب سببٌ وعلةٌ لما لا يُحصى من الذنوب والمعاصي.

الغيبة من أسبابها الغضب، الشتم، اللعن، الضرب، القتل، سفك الدماء إلى آخره، كل هذه سببها ومنشؤها الغضب، وبالتالي من ملك نفسه وملك غضبه استطاع أن يتجنب كثيرًا من الشرور، بل رب ملايين البشر ماتوا بسبب غضب، الحروب لا تقوم إلا بسبب غضب، العلاقات الزوجية والأسرية والقرابات و.. و.. إلى آخره كم من علاقةٍ تقطعت بسبب غضب؟ واضح؟

لذلك إذا تأملنا في هذه الوصية نجدها وصيةً جامعة لربما شطر الإسلام، فقط كلمة «**لَا تَغْضَب**».

قال: «**لَا تَغْضَب**»، طيب هنا يرد سؤال: الغضب أمرٌ قلبي وأحيانًا يكون لا إراديًا. صح؟ لأنه يُعرَّف بأنه ثوران أو فوران الدم في القلب نتيجة فعلٍ يغضب، طيب كيف ينهانا النبي عليه الصلاة والسلام عن أمر لا إرادي؟ كيف؟ قال العلماء: المقصود بالنهي عن الغضب أي: تجنب أسبابه وعلاجه إذا وقع.

فعندنا دواءان للغضب: دواءٌ مانع ودواءٌ رافع، أو إن شئت فقل بلغة المعاصرين: عندنا وقاية وعندنا علاج، دواءٌ مانع هذه وقاية، ودواء رافعٌ هذا علاج، فما هو الدواء المانع من الغضب؟ أولًا: الحلم والتحلُّم وسعة الأفق وتذكُّر ما أعده الله سبحانه وتعالى لمن يكتم غيظه من النعيم؛ فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «**من كظم غيظًا وهو قادرٌ على إنفاذه خيَّره الله عز وجل من الحور العين يوم القيامة أيتها شاء**».

والنوع الثاني أو الدواء الثاني الدواء الرافع أو المعالج للغضب، إذا بدأ بك الغضب ماذا تفعل؟ أولًا قال النبي صلى الله عليه وسلم كما صحَّ في مسند الإمام أحمد قال: «**إذا غضب أحدكم وهو قائم فليقعد، وإذا كان قاعدًا فليضجع**».

وكذلك الدواء الثاني الوضوء لأن الغضب من الشيطان والشيطان مخلوقٌ من النار، والوضوء من الماء بالماء يطفئ الغضب.

الدواء الثالث: الخروج من المكان، إذا حصل لك غضب في مكان فعلاجك أن تسكت وأن تخرج من هذا المكان وتنشغل بأمورٍ أخرى حتى يذهب ما بك.

كذلك الدواء الرابع: الاستعاذة بالله عز وجل من الشيطان الرجيم، لما رأى النبي صلى الله عليه وسلم رجلًا مغضبًا فقال: «**إني أعلم كلمةً لو قالها ذهب ما به وهي: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم**».

لأن الغضب ينفخ فيه الشيطان، الشيطان يفرح إذا غضبت لأن الغضب سيؤدي إلى مشكلة. واضح؟ لذلك يقول ربنا سبحانه وتعالى: **{وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ}** [الإسراء:53]، فإذا اشتعلت شعلةٌ من النار بين رجلين يأتي الشيطان وإيش؟ وينفخ في هذه النار حتى تكبر، ينفخ حتى تكبر، حتى تشتعل النار بينكما.

لذلك كن فطنًا وأطفئ النار أول اشتعالها بما ذكرنا من أدوية نبوية صحيحة.

الحديث السابع عشر

«عَنْ أَبِي يَعْلَى شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ رضي الله تعالى عنه عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: إنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذِّبْحَةَ، وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ وَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ. رَوَاهُ مُسْلِمٌ».

أبو يعلى شداد بن أوس صحابيٌّ جليل، ومن باب الفائدة يُكَنَّى عدد من الأعلام بـ«أبي يعلى» منهم شداد بن أوس ومنهم حمزة عم النبي عليه الصلاة والسلام، فحمزة رضي الله عنه له كنيتان: أبو عمارة وهذه كنيته الشهيرة، وله كنية ثانية: أبو يعلى، وحمزة عم النبي عليه الصلاة والسلام لم يُرزق بذكر، له بنت واحدة فقط. واضح؟ لذلك عنده أكثر من كنية: يُكَنَّى بأبي يعلى

ويُكَنَّى بأبي عمارة.

كذلك عندنا أبو يعلى أحمد بن المثنى الموصلي صاحب المسند، وعندنا كذلك أبو يعلى القاضي الحنبلي، القاضي أبو يعلى. نعم.

و«يعلى» فعل مضارع من العلو، مثل: رضي يرضى، وعلي يعلى.

«**شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ رضي الله تعالى عنه عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ**»، الإحسان يعني: الإتقان وإجادة الشيء على وجهه، إجادة الشيء وإتمامه وعدم الخلل فيه، هذا هو الإحسان، والله سبحانه وتعالى كتب الإحسان على كل شيء.. كل شيء.

ثم ضرب النبي صلى الله عليه بذلك مثلين، قال: «**فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذِّبْحَةَ، وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ وَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ**»، المثل الذي ضربه النبي صلى الله عليه وسلم له مغزى وهو أن الإحسان في الأمور غير القتل والذبح واضح الأمر فيها، ولكن القتل أو الذبح لأنه يؤدي إلى إزهاق روح فقد يظن الظان أنه لا مدخل للإحسان فيه، لذلك ضرب النبي صلى الله عليه وسلم له مثلًا فقال: «**فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ**».

و«**الْقِتْلَةَ**» على وزن «فِعْلة» بالكسر، اسم هيئة، وإذا كان على وزن «فَعْلة» بالفتح فهو اسم مرة، فإذا قلت مثلًا: هذه قِعْدَةٌ حسنة، أما إذا أردت أن تعدد فتقول: هذه ستون قَعْدة. واضح؟ فإذا أردت أن تعدد الشيء تذكر له عددًا تفتح تقول «فَعْلة» أو مَشْية.. مَشْية ومِشْية، المِشْية بالكسر إذا أردت أن تصف هيئة المشي تقول: مَشيتُ مِشْيةً سريعة أو مِشْيةً بطيئة أو كذا، أما إذا أردت أن تعدد تقول: مشيت خمسين مَشْية أو قَعدة أو قَتلة، إذا أردت أن تقول: قتلتُه ستون قَتْلة مثلًا، أما إذا أردت أن تصف الهيئة تكسر تقول قِتْلة وذِبْحة وقِعْدة وجِلْسة ومِشْية إلى آخره.

«**فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ**»، يعني حتى الكافر أو الذي يجب عليه القصاص وتُزهق روحه ومع ذلك يجب أن يُحسَن قتله، يعني أن تُحَدَّ الشفرة وأن لا يُعذَّب وأن تُزْهَقَ روحه بشكلٍ سريع.

«**وَإِذَا ذَبَحْتُمْ**»، أي الذبائح، «**فَأَحْسِنُوا الذِّبْحَةَ، وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ**»، أعطانا النبي عليه

الصلاة والسلام جانبًا من جوانب الإحسان وهو حد الشفرة، يعني السكين، يعني لا تجعل السكين كالَّة، لأن السكين الكالَّة تعذب الحيوان ولا تزهق روحه بسرعة، لذلك ينبغي أن تحد السكين حتى تزهق روحه بسرعة فلا يتعذب، «**وَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ. رَوَاهُ مُسْلِمٌ**».

الحديث الثامن عشر

قال: «عَنْ أَبِي ذَرٍّ جُندُبِ بن جُنادةَ وَأبي عبد الرحمنِ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ. رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وقال: حديثٌ حسنٌ، وفي بعضِ النُّسخِ: حسنٌ صحيح».

«**عَنْ أَبِي ذَرٍّ**» هو أبو ذر الغفاري رضي الله عنه واسمه: جُنْدُب أو جُنْدَب، كلاهما صحيح، «**جُنْدُب أو جُنْدَب بن جُنَادة، وَأبي عبد الرحمنِ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ**»، هذا الحديث أيضًا من الأحاديث الجامعة الكبيرة التي تنظم علاقتك مع نفسك أولًا ومع ربك سبحانه ومع الناس.

علاقتك مع ربك بالتقوى، «**اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ**»، وعلاقتك مع نفسك: «**وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا**»، وعلاقتك مع الناس: «**وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ**»، هذه قواعد الحياة الثلاث التي يجب على المسلم أن يسير عليها.

فيما بينك وبين الله عليك بتقوى الله، «**اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ**»، و«التقوى» كلمةٌ جامعةٌ لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال، والتقوى مأخوذةٌ من الوقاية لأنك بالتقوى تجعل بينك وبين عذاب الله وبين سخط الله وقاية بفعل أوامره واجتناب نواهيه.

«**حَيْثُمَا كُنْتَ**» يعني: سواءٌ كنت أمام الملأ أو كنت لوحدك، سواءٌ كنت في بلدك أو كنت في غربة، مهما كنت وأينما كنت فاتق الله. لماذا؟ لأنك إذا كنت تخشى الله سبحانه فالله مطلعٌ عليك أينما كنت وحيثما كنت ومتى ما كنت، أما إذا كنت تراعي الناس فنا يظهر تهاونك إذا زالت مراقبة الناس عنك.

لذلك ينبغي على الإنسان أن يتقي الله عز وجل حيثما كان، سواء أمام الناس أو في خلوته

وفي جلوته وفي سفره وفي حضره.

«**وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا**»، هذه العلاقة التي ينبغي أن تراعيها مع نفسك لأنك لست معصومًا من الخطأ، والنبي صلى الله عليه وسلم قال: «**كل بني آدم خطَّاء**»، فإذا ما أخطأت وزللت في يومٍ من الأيام إياك أن تيأس وأن تستمر على هذا الزلل؛ لأن المؤمن ليس معصومًا، ربما يقع بل ربما تقع منه الفاحشة كما قال الله عز وجل: {وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ *وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللهُ} [آل عمران:133: 135].

فالشاهد أن المسلم الحق هو الذي إذا أذنب يبادر إلى التوبة ويبدل هذه السيئة إلى حسنة بإتباعها بفعل الطاعات، ولكن قد يقول قائل: هل هناك مشكلة أن يقع الإنسان في الذنب ثم يتوب ثم يقع ثم يتوب وهكذا؟

الجواب: إذا كان محتاطًا لنفسه عازمًا على عدم العودة إلى الذنب ومع ذلك يعود نقول: هذا عليه أن يتوب وطالما أنه يعود ويتوب فهذا إن شاء الله على خير، إما إذا كان متهاونًا أصلًا وتوبته رخوة غير صحيحة وترك لنفسه المجال لأن يعود فهذا أمره آخر، ما نقول أنا الحمد الله أتبع السيئة الحسنة تمحها، لا؛ أنت السيئة أنت مقيم عليها مصر عليها، ما تبت فعلًا توبةً حقيقية. واضح؟

لذلك ينبغي على الإنسان أن يحتاط وأن يبذل جهده قدر المستطاع أن لا يقع في الذنب، فإن وقع أَتْبعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا.

«**وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ**»، الناس لن تستطيع أن تسعهم بمالك ولن تستطيع أن تسعهم بدنياك لأنك لا تملك كل شيء، ولكنك تستطيع أن تسعهم بأخلاقك، و«الخلق الحسن» كلمة جامعة لكل الأفعال التي يحبها الله عز وجل تجاه الناس بدءًا من الابتسامة والكلمة الحسنة والتواضع ولين الجانب وعدم التكبر ونصرة المظلوم والشجاعة والكرم وإكرام الجار وإكرام الضيف إلى آخره. نعم.

طالب: (31:01).

الشيخ: «تسع الناس» يعني تكفيهم، أنت ما تستطيع تكفي الناس بفلوسك.. ما تستطيع تعطي كل الناس فلوس عشان يحبونك، لكن تستطيع أن تسعهم بأخلاقك، يعني تكفيهم كلهم.. واضح؟ بأخلاقك.

«**رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وقال**: **حديثٌ حسنٌ، وفي بعضِ النُّسخِ**: **حسنٌ صحيح**».

(شرح متن الأربعين النووية)

لفضيلة الشيخ الدكتور
مطلق الجاسر
حفظه الله

المجلس السادس

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين
سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

الحديث التاسع عشر

«عَنْ أبي العباس عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: كُنْتُ خَلْفَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا فَقَالَ لِي: يَا غُلَامُ إنِّي أُعَلِّمُك كَلِمَاتٍ: احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْك، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَك، إذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ الله، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوك بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوك إلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَك، وَإِنِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوك بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوك إلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْك، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ. رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ».

هذا الحديث يرويه عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، قال: «**كُنْتُ خَلْفَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**»، خلفه أي: في الدابة، وهذا فيه جواز الإرداف في الدابة، أي يركب اثنان على الدابة الواحدة، وكان عبد الله رضي الله عنه في ذلك الوقت غلامًا صغيرًا لأن النبي صلى الله عليه وسلم توفي وعبد الله بن عباس كان عمره تقريبًا عشر إلى ثلاثة عشر سنة فقط، فيعني هذا الحديث لا أدري بالضبط متى؟ لكنه أكيد أقل من عشر سنوات، فكان غلامًا.

فقال عليه الصلاة والسلام: «**يَا غُلَامُ إنِّي أُعَلِّمُك كَلِمَاتٍ**»، وهذا فيه: أولًا: توجيه الكلام للغلام أو للشاب الصغير كتوجيهه للكبير تربيةً له، لأننا مع الأسف نقع في خطأ أننا نخاطب الصغار بلغة الصغار دائمًا. واضح؟ ولا نحاول أن نرتقي بهم في الخطاب. واضح؟

لأنك نعم نعم أنت المفروض تخاطبهم بما يفهمون، لكن أحيانًا يكون يعني هذا الصغير بدأ يعقل ويفهم، ينبغي أن ترتقي معه في لغة الخطاب حتى يستطيع أن يستوعبك.

كذلك فيه تهيئة السامع للعلم قبل أن تلقيه، النبي عليه الصلاة والسلام ما بدأه بالمعلومة فورًا وإنما هيأه، قال: «**يَا غُلَامُ إنِّي أُعَلِّمُك كَلِمَاتٍ**». لماذا؟ حتى يستجمع فكره.. يستجمع نفسه ليفهم هذه الكلمات.

بخلاف ما إذا ألقاها؛ إذا ألقاها مباشرةً ربما أول المعلومة لا تصل بشكل لأنه لم يتهيأ. نعم، وهذا أمرٌ ينبغي أن يتلفت له الدعاة والمربون.

قال: «**احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْك، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَك**»، «**احْفَظِ اللَّهَ**» أي احفظ حدود

الله وأوامره، يعني بمعنى: اتق الله.. احفظ أوامر الله بفعلها ونواهيه باجتنابها. ماذا يحصل لك؟ «**يَحْفَظْكَ**»، تنال الحفظ من الله عز وجل.

«**احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ**»، «**تُجَاهَكَ**» يعني أمامك، تجد الله عز وجل معينًا لك، تجده ناصرًا لك.

«**إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ الله، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ**»، إذا أردت شيئًا وطلبته اطلبه من الله عز وجل، لكن هل هذا يعني أن لا نستعين بالبشر؟ الجواب: لأ؛ الاستعانة الأصلية التي عليها المتَّكل والاعتماد تكون على الله عز وجل، أما البشر فهم إيش؟ أسبابٌ ينبغي أن تنزل هذه الأمور منازلها.

أما إذا جعلت البشر بمنزلة الله واستعنت بهم أو سألتهم سؤال الله سبحانه وتعالى فهذا لا يجوز. واضح؟ بل عليك أن تتوكل على الله سبحانه وتعالى وأن تعلق قلبك به سبحانه وحده ثم بعد ذلك تسعى وتبحث في الأسباب الدنيوية، في البشر، في العلاج، في غير ذلك من الأسباب.

«**وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ**»، يعني كل الناس، لأن كلمة «**الْأُمَّةَ**» تُطلق ويُراد بها المسلمون وتُطلق ويُراد بها الناس كلهم، والمقصود بهم هنا الناس كلهم.

«**وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَإِنِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ**» هذه الكلمات لو وعيناها حق الوعي لاجتثت تعلقنا بالناس التعلق الخاطئ؛ لأن بعض الناس يخاف من الناس أكثر من خوفه من الله، ويرجو ويطلب من الناس أشد من رجائه لله عز وجل.

ولكن إذا وعيت هذه الكلمات أن الأمة كلها لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لا يريد الله عز وجل أن ينفعك به لن يستطيعوا ذلك، وإذا نفعوك بشيء فاعلم أن الله عز وجل قد أراده، فالله عز وجل هو الذي أعطاك هذا الشيء في الحقيقة.

كذلك لا تخف من الناس لأن الأمة لو اجتمعوا على أن يضروك بشيء والله سبحانه وتعالى لا يريد أن يضرك لن يستطيعوا أن يفعلوا شيئًا، إذا وعينا هذا الكلام ينبغي أن تتوجه بعد ذلك

همنا إلى مراعاة مرضاة الله عز وجل؛ لأن بعض الناس مع الأسف يرضي الناس بسخط الله خوفًا من الناس ولكنه لا يخاف من الله، ومستعد لأن يغضب ربه لأجل أن لا يغضب عليه الناس، والنبي صلى الله عليه وسلم قال: «**من أرضى الناس بسخط الله سخط الله عليه وأسخط عليه الناس، ومن أرضى الله بسخط الناس رضي الله عنه وأرضى عنه الناس**».

إذًا ينبغي أن تتوجه همنا وعلاقتنا وتعلُّق قلوبنا بالله سبحانه وتعالى خوفًا ورجاءً، أما الناس ينبغي أن نعطيهم حجمهم الحقيقي بأن نعلم أنهم أسباب فقط لا غير وأنهم لا يستحقون أن أغْضب الله من أجلهم، لا يوجد شيء على وجه الأرض يستحق أن تُغضب الخالق من أجله.

فإن قلت: قد يضروني وقد يفعلون كذا وقد يقطعون رزقي وقد يفعلون كذا و.. و... إلى آخره فهذا نقصٌ في التوحيد، إذا خشيت بهذه الطريقة فاعلم أن في توحيدك نقصًا، ألا تعلم أنهم لو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لا يضروك إلا بشيء قد كتبه الله لك أو كتبه الله عليك، إذا كنت توقن بذلك فعلام تخشى؟ على ماذا تخشى؟

ثم إن الناس لا يستطيعون أن يفعلوا شيئًا إلا في حدود الدنيا فقط، وليفعلوا، **{إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا}** [طه:٧٢] كما قال سحرة فرعون، يعني ما تستطيع، افعل فينا ما... إيش أقصى شيء؟ نموت؟ نموت ثم نذهب إلى الله عز وجل إلى الحياة الحقيقية. واضح؟

أما إذا أسخطت ربك ورضي عنك الناس كم ستعيش مع الناس الذين أرضيتهم؟ سنوات ثم ماذا؟ ثم تعود لله عز وجل. واضح؟

لذلك إذا حسبها الإنسان حسبة صحيحة يجد أنه لن يربح إلا إذا وضع رضا الله نصب عينيه، إذا وضع الله سبحانه وتعالى أمام عينيه.

«**وَفِي رِوَايَةِ غَيْرِ التِّرْمِذِيِّ: احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ أَمَامَكَ، تَعَرَّفْ إِلَى اللَّهِ فِي الرَّخَاءِ يَعْرِفْكَ فِي الشِّدَّةِ، وَاعْلَمْ أَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَمَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَاعْلَمْ أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنَّ الْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا**».

«**احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ أَمَامَكَ، تَعَرَّفْ إِلَى اللَّهِ فِي الرَّخَاءِ يَعْرِفْكَ فِي الشِّدَّةِ**»، بعض الناس لا يعرف ربه إلا في الشدة فقط، المسلم يعرف ربه في الرخاء وفي الشدة.

قال: «**وَاعْلَمْ أَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ**»، يعني أمر لم يحصل لك اعلم أنه مستحيل أن يحصل لك، نهائيًا، ما في أمر يأتي في هذه الحياة إلا بقدر الله، وأن «**مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ**»؛ لأنه مقدَّر من الله.

«**وَاعْلَمْ أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ**»، النصر لا يأتي بدون صبر؛ لابد من صبر، سواء كان النصر على النفس أو النصر على الأعداء لا يأتي إلا مع الصبر.

«**وَأَنَّ الْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ**»، يعني إذا ابتلاك الله عز وجل بشيءٍ من الكرب أو بشيءٍ من المصائب فإنها لا يوجد هناك مصيبة مستمرة أبدًا، مستحيل؛ ما تأتي مصيبة إلا ويعقبها فرج من الله سبحانه وتعالى، «**وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا**». نعم

قال: الحديث العشرون

«عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ عقبة بن عمرو الأنصاري الْبَدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ تعالى عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النُّبُوَّةِ الْأُولَى: إذَا لَمْ تَسْتَحْيِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ».

أَبو مَسْعُودٍ عقبة بن عمرو الأنصاري رضي الله عنه الْبَدْرِيِّ نُسب إلى بدر لأنه سكن بها ولم يشهد غزوة بدر، يعني سكن في مدينة بدر أو منطقة بدر التي حصلت فيها المعركة ولم يشهدها، فهو ليس بدريًا بمعنى شهد بدرًا، ولكنه بدريٌّ لأنه سكن بدرًا.

«**قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النُّبُوَّةِ الْأُولَى**»، يعني مما توارثه الأنبياء في السابق، «**إذَا لَمْ تَسْتَحْيِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ**».

هناك وجهان لفهم هذا الحديث: **الوجه الأول**: أن المقصود «**إذَا لَمْ تَسْتَحْيِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ**» أي: إذا فقدت صفة الحياء فيُتوقَّع منك كل سوء وكل شر، «**إذَا لَمْ تَسْتَحْيِ**»، يعني إذا لم تكن من أهل الحياء، معناتها نتوقع منك إيش؟ أي شيء. واضح؟

وهناك فهمٌ آخر للحديث أو وجهٌ آخر لفهم الحديث: «**إذَا لَمْ تَسْتَحْيِ**»، يعني: إذا لم يكن في الأمر ما يدعو إلى الحياء فافعل ما شئت، يعني فأقدم عليه. واضح المعنى؟

فعلى المعنى الأول يكون قوله: «**فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ**» الأمر فيه للتهديد، يعني مثل كأن تقول: إن كنتَ بطلًا افعل هذا الشيء وشوف شو يصير فيك، «**إِذَا لَمْ تَسْتَحْيِ**» يعني إذا خلوت من صفة الحياة سوِّي اللي تبي وشوف الله سبحانه وتعالى راح يحاسبك.

أما على المعنى الثاني أو لفهم الثاني للحديث و هو أن إذا لم تجد في هذا الأمر ما يدعو إلى الحياء فافعله، فالأمر هنا على حقيقته. واضح؟

طيب الحياء صفة يتّصف بها الإنسان تحمله على فعل ما يُستحسن وترك ما يُستقبح، هذا هو الحياء، صفة في الإنسان تحمله على فعل ما يُستحسن وعلى ترك ما يُستقبح.

«**رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ**».

الحديث الحادي والعشرون

«عَنْ أَبِي عَمْرٍو – وَقِيلَ أَبِي عَمْرَةَ – سُفْيَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الثقفي رَضِيَ اللَّهُ تعالى عَنْهُ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قُلْ لِي فِي الْإِسْلَامِ قَوْلًا لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا غَيْرَكَ، قَالَ: قُلْ آمَنْتُ بِاللَّهِ ثُمَّ اسْتَقِمْ. رَوَاهُ مُسْلِمٌ».

وهذا الحديث أيضًا مما يدل على فقه سؤال الصحابة.. فقه أسئلتهم، كانوا يسألون عما ينفعهم، يقول: «**قُلْ لِي فِي الْإِسْلَامِ قَوْلًا لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا غَيْرَكَ**»، يعني واضح وجلي وشامل بحيث يغنيني عن كل الأسئلة، فقال عليه الصلاة والسلام: «**قُلْ آمَنْتُ بِاللَّهِ ثُمَّ اسْتَقِمْ**».

وهذا الحديث يدل على شرطي العبادة اللذين سبق أن تكلمنا عنهما وهما الإخلاص والمتابعة، فقوله: «**قُلْ آمَنْتُ بِاللَّهِ**» دليلٌ على الإخلاص، «**ثُمَّ اسْتَقِمْ**» دليلٌ على إيش؟ على المتابعة؛ لأن الاستقامة تعني الإتيان بما جاء في كلام الله وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم دون انحراف. واضح؟

ثم إن الاستقامة لها معنىً آخر يُضمُّ إلى هذا المعنى، فالمعنى الأول للاستقامة أي الإتيان بالعبادات على الوجه المشروع، هذا معنى الاستقامة، المعنى الثاني للاستقامة: الاستمرار وعدم قطع العبادة، هذا معنى الاستقامة.

يعني ليس فقط أن تأتي بالعبادة على وجهها مرة واحدة وخلاص، لأ؛ أن تكون إيش؟

مستمرًا، وأحبُّ الأعمال إلى الله سبحانه وتعالى ما داوم عليه إيش؟ صاحبه، وقليلٌ دائم خيرٌ من كثيرٍ منقطع، أن تقوم في الليلة كل ليلة بخمس ركعات خيرٌ من أن تقوم بمائة ركعة في ليلة ثم تقف، وأن تتصدق في اليوم بدينار خير من أن تتصدق مرة بمائة دينار ثم تقف.

فالعمل الدائم أفضل من العمل المنقطع ولو كان المنقطع أكثر، وعائشة رضي الله عنها تقول: كان عمل النبي صلى الله عليه وسلم ديمةً، «ديمة» يعني إيش؟ دائمٌ لا ينقطع مستمر.

«**رَوَاهُ مُسْلِمٌ**».

الحديث الثاني والعشرون

«**عَنْ أبي عبد الله جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: أَرَأَيْتَ إِذَا صَلَّيْتُ الْمَكْتُوبَاتِ، وَصُمْتُ رَمَضَانَ، وَأَحْلَلْتُ الْحَلَالَ، وَحَرَّمْتُ الْحَرَامَ، وَلَمْ أَزِدْ عَلَى ذَلِكَ شَيْئًا، أَأَدْخُلُ الْجَنَّةَ؟ قَالَ: نَعَمْ. رَوَاهُ مُسْلِمٌ**

ومعنى حرمت الحرام: اجتنبته.

ومعنى أحللت الحلال: فعلته معتقدًا حله، والله أعلم».

جابر بن عبد الله الأنصاري صحابي جليل وابن صحابي جليل شهيد وهو عبد الله بن حرام رضي الله عنه، قال: «**أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**»، هذا الرجل هو النعمان بن قوقل الأنصاري الخزرجي رضي الله عنه، هو الذي سأل النبي عليه الصلاة والسلام.

قال: يا رسول الله «**أَرَأَيْتَ إِذَا صَلَّيْتُ الْمَكْتُوبَاتِ**»، حافظ على الصلاة، «**وَصُمْتُ رَمَضَانَ، وَأَحْلَلْتُ الْحَلَالَ**»، يعني اعتقدت: أن هذا الأمر حلال وفعلته معتقدًا أنه حلال، «**وَحَرَّمْتُ الْحَرَامَ**»، يعني: اعتقدت أن هذا الأمر حرام واجتنبته، «**وَلَمْ أَزِدْ عَلَى ذَلِكَ شَيْئًا**»، ما زدت على هذا الأمر شيء، يعني ما فعلت التطوعات، يعني هذا الذي يريد أن يقوله.

طيب أين الزكاة؟ وأين الحج؟ هاه؟ الجواب: أن يقال هذا كان قبل فرض الزكاة وقبل فرض الحج. واضح؟ أو يقال: إن هذا معلوم عنده ولم يقصد أن يتركه. نعم.

«**وَلَمْ أَزِدْ عَلَى ذَلِكَ شَيْئًا، أَأَدْخُلُ الْجَنَّةَ؟ قَالَ: نَعَمْ. رَوَاهُ مُسْلِمٌ**»، يعني أن المحافظة والاستقامة على الفرائض مع ترك المحرمات كفيلٌ بأن يُدخل المسلم الجنة.

قال: الحديث الثالث والعشرون

«عَنْ أَبِي مَالِكٍ الحارث بن عاصم الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ تعالى عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَآنِ أَوْ تَمْلَأُ مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَالصَّلَاةُ نُورٌ، وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ، وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ، وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ، كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو، فَبَائِعٌ نَفْسَهُ، فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا. رَوَاهُ مُسْلِمٌ».

هذا الحديث كل شطرٍ منه يعتبر يعني جانب كبير من جوانب العلم، وكل شطرٍ منه يعتبر حديث مستقل يعني، يقول عليه الصلاة والسلام: «**الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ**»، «**الطُّهُورُ**» المقصود به الوضوء.. الطهارة، «**شَطْرُ الْإِيمَانِ**»، الإيمان هنا قيل إن المقصود به الصلاة لأن من أسماء الصلاة الإيمان، والدليل أن الله سبحانه وتعالى قال: **{وَمَا كَانَ اللهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ}** [البقرة:١٤٣] يعني إيش؟ يعني صلاتكم.

فالوضوء نصف الصلاة. لماذا؟ لأن الصلاة لا تصح إلا بوضوء. واضح؟ فهي تعتبر من هذه الحيثية شطر الإيمان لأن الطهور شرطٌ لها فصار شطرًا كأنه شطر أو نصف أداء الصلاة.

«**وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ**»، الْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ أي: بثوابها.. ثواب الحمد لله عز وجل يملأ الميزان يوم القيامة، والميزان يوم القيامة ثابت.. ثبت بالسنة أن هناك ميزانًا حقيقيًا توزن فيه أمور؛ يوزن أولًا السيئات والحسنات، ويوزن أيضًا العامل نفسه، ويوزن سجلات الأعمال، وكل واحدٍ منها قد ورد فيه حديثٌ خاص يدل عليه. واضح؟

والمقصود هنا «**الْحَمْدُ لِلَّهِ**» أي: ثواب الحمد إذا حمدت الله عز وجل تُثاب عليه وثوابه يملأ لك ميزان حسناتك يوم القيامة.

قال عليه الصلاة والسلام: «**وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَآنِ أَوْ تَمْلَأُ مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**»، الله أكبر، يعني أن الثواب الحاصل من تسبيحك وتحميدك بأن تقول: سبحان الله والحمد لله، وتقول كذلك: الله أكبر، هذا الثواب لو قُدِّر أن يكون جسمًا لملأ ما بين السماء والأرض، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على عظم أجر الذكر، ومع ذلك هو من أسهل

العبادات؛ لأنه لا يستلزم منك إلا تحريك اللسان، لا يستلزم منك حركة البدن ولا يستلزم حتى منك الطهارة ولا أن تنتقل من مكانك، على أي هيئةٍ كنت؛ قائمًا، ماشيًا، مضجعًا، في سيارتك، في انتظارك، ما عليك إلا أن تحرك لسانك، وهو على يسره وسهولته ولكنه لا يوفَّق له إلا من وفَّقه الله سبحانه.

«**وَالصَّلَاةُ نُورٌ**»، الصلاة إذا أداها الإنسان على وجهها مراعيًا أركانها وشروطها وواجباتها وسننها فإنه في هذه الحالة يكتسب نورًا، هذا النور يُقذف في القلب يؤدي إلى انشراح الصدر، لذلك تجد الإنسان إذا خرج من الصلاة لا سيما إذا كان خاشعًا يشعر بانشراح في الصدر ويشعر براحة وطمأنينة لأن هذا من النور الذي قذفه الله في قلبه من الصلاة.

كذلك هذا النور يكره إليه المعاصي ويحبب إليه الطاعات، لذلك يقول ربنا سبحانه: **{إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ}** [العنكبوت:٤٥]، ثم إن هذا النور ينصبغ به الوجه وينصبغ به البدن، كل هذا من نور الصلاة.

«**وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ**»، «**بُرْهَانٌ**» أي: دليل وحجة، برهان على ماذا؟ برهان على صدق إيمان صاحبه؛ لأن المال هو شقيق الروح كما يقولون، فإذا كان الإنسان غير واثق بالثواب وغير مؤمن بالآخرة لن يخرج المال في سبيل الله ولن ينفق على الفقراء ولن يتصدق.

أما إذا كان مؤمنًا واثقًا أن هذا المال الذي يدفعه في الصدقة يدخره الله له يوم القيامة فإن هذا يدعوه إلى إيش؟ إلى كثرة البذل والإنفاق، فصار دليلًا على صدق إيش؟ إيمانه، دليل لنفسك أنت أول شيء، كيف تثبت لنفسك أنك مؤمن؟ بالنفقة، إذا كنت تنفق معناته أنت واثق أن هذا ستُجازى عليه.

«**وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ**»، ما الفرق بين النور والضياء؟ هو قال على الصلاة إنها نور، والصبر قال: ضياء. ما الفرق؟ هاه من يعرف؟ ما الفرق بين النور والضياء؟ هاه؟

طالب: (٢٥:٠٥)

الشيخ: نعم، والنور؟

طالب: (٢٥:١١)

الشيخ: نعم.

لأ؛ هو الفرق أن الضياء نورٌ مع حرارة، أما النور فهو مجرد نور، ولاحظوا دقة تشبيه النبي عليه الصلاة والسلام الصبر بالضياء؛ لأن الصبر لن يضيء لك إلا بشيءٍ من الحرارة.. حرارة الصبر. واضح؟ فالفرق بين النور والضياء كالفرق بين ضياء الشمس ونور القمر؛ الشمس فيها ضياء مع إيش؟ مع حرارة، بخلاف القمر الذي لا يعطيك حرارة وإنما يعطيك نورًا، كذلك الصبر لن تنال نوره إلا بتحملك لحرارته. واضح؟ «**وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ**».

«**وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ**»؛ فالقرآن حجة الله للعالمين، إما أن يكون حجةً لك يأتي يوم القيامة يدافع عنك وشفيع لك، يقول: منعته السهر بالليل، كان يقوم بي ومنعته كذا وكان يتلو القرآن و.. و.. إلى آخره، أو كان يعمل بالقرآن.

أو يكون والعياذ بالله حجةً عليك، كما قال عليه الصلاة والسلام: «**كم من قارئٍ للقرآن والقرآن يلعنه؟**»، يكون قاطعًا للرحم ويقرأ قول الله عز وجل: **{فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ}** [محمد:٢٢]، وهو قاطع رحم، فيقرأ القرآن والقرآن حجة عليه في هذا الفعل الذي فعله.

ثم قال عليه الصلاة والسلام: «**كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو، فَبَائِعٌ نَفْسَهُ، فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا**»، ولاحظوا دقة تعبير النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: «**بَائِعٌ نَفْسَهُ**»؛ لأنك أنت عبارة عن ماذا؟ أنت عبارة عن وقت.. عن أوقات، أنت عبارة عن مجموعة أنفاس، وهذه الأنفاس تخرجها في كل لحظة، والنفس الذي تخرجه الآن عبارة عن نقص من عمرك. صح؟ فأنت اليوم أنقص عمرًا من أمس، وأمس أنقص عمرًا من الذي قبله، وغدًا ستكون أنقص لأننا كلنا نذهب إلى.. نمشي ونسير إلى اليوم المحدد لنا بأن نلقى الله عز وجل فيه، فأنت في كل يوم تغدو وتبيع نفسك.. تخرج أنفاسك هذه كأنها أموال تنفقها بس تنفقها على إيش؟ إما تنفقها على ما يعتقك من النار يوم القيامة أو تنفقها على ما يوبقك.

«**كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو**»، كل الناس تنفق؛ تنفق من أنفاسها، تنفق من زمنها.. من وقتها، ولكن بعض الناس ينفق على شيء يعود له بالنفع والثواب، وهناك أناس ينفقونه والعياذ بالله على ما

يوبقها أي يهلكها، فتجده بذل وتعب في أمور عادت وبالًا عليه يوم القيامة.

نسأل الله عز وجل أن يوفقنا وإياكم لما يحب ويرضى، والله أعلم وصلى الله وسلَّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وجزاكم الله خيرًا.

﴿شرح متن الأربعين النووية﴾

لفضيلة الشيخ الدكتور

مطلق الجاسر

حفظه الله

المجلس السابع

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين
سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد،

قال المصنف رحمه الله تعالى: الحديث الرابع والعشرون

« عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ تعالى عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا رَوَى عَنْ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّهُ قَالَ: يَا عِبَادِي...».

هذا الحديث يسمى عند العلماء «الحديث القدسي» وهو الذي يرويه النبي صلى الله عليه وسلم عن ربه عز وجل، ويختلف الحديث القدسي عن القرآن في أمور منها: أن القرآن معجز.. لفظه معجز، والحديث القدسي لفظه ليس معجزًا، الأمر الثاني: يجوز رواية الحديث القدسي بالمعنى بالشروط التي يعني نص عليها أهل العلم، أما القرآن فلا يجوز روايته بالمعنى، كذلك القرآن مُتَعَبَّدٌ بتلاوته والحديث القدسي ليس مُتَعَبَّدًا بتلاوته.

يقول ربنا سبحانه فيما يرويه عنه الرسول صلى الله عليه وسلم: «**يَا عِبَادِي**»، وهذا النداء للبشرية جمعاء ولا يختص فقط بالمؤمنين؛ لأن كل البشر عباد، سواءٌ كانوا مؤمنين أو غير مؤمنين، والعبودية نوعان:

- عبودية قهر، وهذه يشترك فيها الجميع، كل البشر، بل كل الخلائق عبادٌ لله، أي أنهم مقهورون تحت حكم الله عز وجل.

- والعبودية الثانية عبودية اختيار، وهذه التي اختارها المؤمنون وعبدوا الله عز وجل، وهم الذين استحقوا رضوان الله.

ولكن النداء هنا للجميع.

قال: «إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظَالَمُوا».

«**حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي**» أي: تنزَّهتُ عن الظلم، تنزَّه ربنا سبحانه عن أن يظلم أحدًا، فقد قال الله عز وجل: {وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ} [فصلت:46]، فالظلم مستحيلٌ على الله عز وجل غير وارد في أن يأتي الله عز وجل بظلم، فقد نزَّه ربنا سبحانه وتعالى نفسه عن الظلم.

و«الظلم» هو مجاوزة الحد، وهو أيضًا وضع الشيء في غير موضعه، وربنا سبحانه وتعالى لما

نزَّه نفسه عن الظلم حرَّمه أيضًا علينا، سواءٌ ظلم أنفسنا بالمعاصي أو ظلم غيرنا إما بالمال أو اللسان أو الجوارح.

«**وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظَالَمُوا**»، «**تَظَالَمُوا**» أصلها: تَتَظَالَمُوا، ولكنها حُذفت التاء الأولى وبقيت الثانية، وأصلها: تَتَظَالَمُوا.

«**يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ**».

الأصل كما قال ربنا سبحانه وتعالى في سورة العصر: {**وَالْعَصْرِ * إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا**} [العصر]، فالإنسان إذا تُرك ولم يهده ربه سبحانه ولم يوفقه ليسلك طريق الهداية فإن مآله إلى الضلال، «**كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ**»، من هداه الله سبحانه وتعالى.

«**فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ**»، لذلك أعظم ما يدعو به المسلم ربه سبحانه الهداية، أعظم ما يسأل المسلم ربه الهداية، ولأهمية هذا الدعاء فرضه ربنا سبحانه وتعالى علينا في كل صلاة؛ لأن سورة الفاتحة هي دعاءٌ لنا بالهداية: {**اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ**} [الفاتحة:6]، لذلك أمرنا ربنا سبحانه وتعالى بهذا الدعاء في كل فرض.

«**يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ**».

الله سبحانه وتعالى هو الذي أطعمنا وهو الذي سقانا وهو الذي كسانا وهو الذي آوانا، فإن قال قائل: الطعام نحن استخرجناه بأيدينا من المزارع إن كان نباتيًا، أو الحيوانات، ونحن قطعناه ونحن وكَّلنا نفسنا يعني، كذلك الألبسة نحن الذين ألبسنا أنفسنا.

نقول: هذا فهم قاصر؛ لأن أنت لك أن تقول: أنا بنيت بيت ولا تعني أنك بنيته بيدك. صح؟ يمكن ما لمست يعني هذا البيت بيدك أبدًا. صح؟ ولكن يصح عقلًا ولغةً أن تقول: أنا بنيت هذا البيت، طيب فإذا قال لك قائل: لا أنت مو بنيت البيت؛ اللي بنى البيت العمال، تقول: لأ؛ أنا العمال هادول سبب، أنا اللي أحضرتهم وأنا اللي...

فالله سبحانه وتعالى لما يقول: «**كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ**»، يعني أن الله سبحانه وتعالى جعل لنا أسباب هو الذي سَبَّب هذه الأسباب؛ فالله عز وجل هو المطعِم على الحقيقة. واضح؟

طيب كل هذه المزارع واستخراج الأطعمة، كل هذه أسباب، لولا أن الله سبحانه وتعالى سبَّبها لما تمكَّنا من ذلك.

قال: «يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ».

ويلاحَظ تكرار **يَا عِبَادِي.. يَا عِبَادِي.. يَا عِبَادِي يَا عِبَادِي**، وهذا يدل على لطف ربنا سبحانه وتعالى ورحمته؛ لأن المناداة بهذا النداء يدل على التودد، كأنك إذا ناديت أو كلَّمت أبنائك فتقول: يا أبنائي أو: يا بني، وهذا لا يكون إلا إذا كان فيه نوع من الرحمة والتودد ومحاولة إيصال الخير، والله سبحانه وتعالى غنيٌّ عنا كما سيأتي الآن، ومع ذلك يتودد إلينا بمثل هذا الكلام.

«**إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ**»، ليس هناك إنسان معصوم عن الخطأ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «كل بني آدم خطَّاء وخير الخطَّائين التوابون»، فنحن نخطئ بالليل والنهار والله سبحانه وتعالى يغفر جميع الذنوب، «**فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ**».

«يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي».

يعني المعاصي التي أمرنا الله عز وجل باجتنابها إذا فعلناها لن نضر الله عز وجل شيئًا، لن يتضرر ربنا سبحانه وتعالى بشيءٍ من أفعالنا، ولو كفر الكافرون وظلم الظالمون واعتدى المعتدون فالله عز وجل لن يضره شيء.

وكذلك الطاعات لن تنفع الله شيئًا، لما يقول لنا ربنا سبحانه وتعالى: {أَقِيمُوا الصَّلَاةَ} [البقرة:43]، وصلينا، لن ينتفع الله عز وجل بصلاتنا شيئًا.

فنحن المستفيدون إذا أطعنا ونحن الخاسرون إذا عصينا، ولكن ربنا سبحانه وتعالى يأمرنا بذلك لأنفسنا لا له سبحانه وتعالى.

«يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا».

هذا يؤكد ما سبق أن الله عز وجل لن يضره أحد ولن ينفعه أحد.

قال: «**لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ**»، يعني كم إنسان على وجه الأرض؟ كم عاش على وجه الأرض منذ خلق الله آدم إلى اليوم؟ عدد لا نستطيع أن نحصيهم، بل ليس هم فقط؛ الجن أيضًا، كل هؤلاء لو اجتمعوا وأصبحوا كلهم أتقياء يعني كانوا كلهم جميعًا بلا استثناء على أتقى قلب رجل واحد، يعني نشوف من هو أحسن واحد في التقوى، كلهم نفس المستوى من التقوى. تخيل، لن يزيد ذلك في ملك الله شيئًا أبدًا.

بالمقابل: «**لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ**»، يعني كل هؤلاء البشر والجن والإنس منذ خلق الله آدم إلى قيام الساعة كلهم لا يوجد فيهم مؤمن واحد.. كلهم جميعًا على أفجر قلب واحد منهم، يعني كلهم على مستوى من الفجور دنئ جدًا، لن يضر ولن ينقص ذلك من ملك الله شيئًا.

فالله عز وجل غنيٌّ عنَّا ولن ينفعه طاعة الطائعين ولن يضره عصيان العاصين.

«يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ».

يعني أن الله عز وجل لو جمع كل الخلائق منذ خلق الله آدم إلى قيام الساعة، والجن والإنس، وقاموا في صعيدٍ واحد يعني مكانٍ واحد ثم كل واحد طلب كل ما يتمنى، ولك أن تتخيل يعني حاجات البشر، ولك أن تتخيل أمنيات البشر، بعضهم أمنياتهم لا تنتهي، ومع ذلك أعطاه الله عز وجل ما يريد، لن ينقص ذلك من ملك الله شيئًا «**إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ**».

«**الْمِخْيَطُ**» هو الإبرة، إذا أخذت الإبرة وغمستها في البحر ثم نزعتها هل ينقص البحر شيء؟ الجواب: لأ لن ينقصه شيء، وهذا يدل على عظم ملكوت الله عز وجل وعظم خزائن الله عز وجل وأن الله عز وجل لا يمنع الناس بخلًا حاشاه أو عجزًا أبدًا، ولكن سبحانه وتعالى يعطي لحكمة ويمنع لحكمة.

«يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا».

يوم القيامة إذا أتيت ووجدت أعمالك إنما هي أعمالك لم يزد عليها أحد ولم ينقصها أحد إلا إذا شاء الله أن يغفر لك، إذا كان هناك شيء سيُنقص فهو الذنوب بمشيئة الله، لكن الطاعات ثق تمامًا أنها لن تنقص شيئًا.

«يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا».

تأتون يوم القيامة تجدونها وافية كاملة.

«فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ. رَوَاهُ مُسْلِمٌ».

وهذا الحديث حديثٌ ربانيٌّ عظيمٌ جدًا، هو أشرف أو أعظم ما رواه أهل الشام كما يقولون لأن رجال إسناده كلهم دمشقيون، ونقل أبو إدريس الخولاني رحمه الله عن سيدنا أبي ذر رضي الله تعالى عنه أنه كان إذا حدَّث به جثا على ركبتيه لعظم هذا الحديث، تعظيمًا وإجلالًا له، قال الإمام أحمد: ليس لأهل الشام حديثٌ أشرف منه.

قال: الحديث الخامس والعشرون

« عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ تتعالى عَنْهُ أَنَّ نَاسًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالُوا لِلنَّبِيِّ عليه الصلاة والسلام: يَا رَسُولَ اللَّهِ ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ بِالْأُجُورِ».

«**أَهْلُ الدُّثُورِ بِالْأُجُورِ**» يعني الأغنياء أصحاب الأموال، و«**الدُّثُورِ**» جمع دَثْر، والدَثْر قيل إنه المال وقيل هو اللحاف أو الغطاء الذي يتغطى به الإنسان.. يتدثر به؛ لأن الأغنياء قديمًا كانوا يتغطون بالألحفة والفقراء ما كانوا يجدون شيئًا يتغطون به.

على كل حال المقصود بهم الأغنياء، فيقولون: ذهب أهل المال بالأجر؛ عندهم إمكانية لفعل طاعات لا نستطيع نحن أن نفعلها.

«يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي»، لأن الصلاة بلاش، ما فيها دفع فلوس، «يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي، وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ»، لأن أيضًا الصوم بلاش، «وَيَتَصَدَّقُونَ بِفُضُولِ أَمْوَالِهِمْ»، هذه ما نقدر عليها، هم يستطيعون أن يتصدقون ونحن ما نستطيع.

فقال عليه الصلاة والسلام: «أَوَلَيْسَ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ مَا تَصَّدَّقُونَ؟».

يعني أنتم هل تظنون إن الله ما جعل لكم شيء تتصدقون به؟ يعني: هل تظنون أن الصدقة بالمال فقط؟ لا؛ هناك صدقة من نوعٍ آخر. ما هي؟

قال: «إِنَّ بِكُلِّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةً، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عَنْ مُنْكَرٍ صَدَقَةٌ، وَفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ».

يعني هذه أنواع من الصدقات؛ الصدقات ليست مقتصرة على النقود، إذا قلت: «سبحان الله»، تصدَّقت، «الحمد لله» كذلك، «الله أكبر»، «لا إله إلا الله» كذلك، الأمر بالمعروف، النهي عن المنكر.

«**وَفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ**»، «البُضْع» هو الفرج، والمقصود به هنا يُكَنَّى به عن الجماع، يعني: إذا أتيت أهلك فإنك لك بذلك صدقة، طبعًا التسبيح والتهليل والتحميد والتكبير مفهوم بالنسبة للصحابة لماذا هو صدقة، لذلك ما سألوا عنه لأنه عبادة، لكن الذي لم يستوعبوه أو يعني استشكلوه هو النوع الأخير هذا. كيف؟ لأن الجماع ليس عبادة محضة يعني مثل التسبيح والتهليل وإلى آخره.

ف«قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ»، وهذا وجه الإشكال، «أَيَأْتِي أَحَدُنَا شَهْوَتَهُ وَيَكُونُ لَهُ فِيهَا أَجْرٌ؟».

أولًا هنا سؤالهم واستشكالهم دليل على أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يفتح باب إيش؟ باب النقاش وباب الاستشكال، رغم أنه نبي ولكن ذكر شيئًا لم يفهموه فسألوه، قالوا: كيف؟ يعني هي شهوة يعني مرغوبة للإنسان، كيف يؤجر عليها؟ واضح؟

«فقَالَ عليه الصلاة والسلام: أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي حَرَامٍ أَكَانَ عَلَيْهِ وِزْرٌ؟»، طبعًا الجواب: نعم.. عليه وزر، «فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي الْحَلَالِ كَانَ لَهُ أَجْرٌ. رَوَاهُ مُسْلِمٌ».

وهذا الحديث العظيم يدل على أن باب الصدقة واسع؛ في التسبيح والتهليل والأذكار عمومًا والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وفيه أيضًا أن ما يفعله المسلم من أموره العادية إذا احتسب فيها الأجر فإنه يؤجر عليها.

كما قال النبي عليه الصلاة والسلام في حديث آخر حديث سعد بن أبي وقاص قال: «**فإنك لا تنفق نفقةً تحتسبها إلا كانت لك بها صدقة حتى ما تجعله في في امرأتك**»، يعني ما

تطعمه زوجتك، وكذلك هنا إتيان الزوجة، وهذا الأجر بالمناسبة ليس مختصًا للرجل، كذلك المرأة إذا يعني أتاها زوجها واحتسبت إعفاف نفسها وإعفاف زوجها فلها صدقة كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم.

وهذا فيه أن الشريعة لا تفصل الإنسان عن حياته، حتى حياته الزوجية الشريعة ليست مقتصرة على الشعائر التعبدية فقط، لا؛ بل هي لها علاقة بالحياة الأسرية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية وكل نواحي الحياة الشريعة الإسلامية وضعت أحكامًا وتشريعات لها.

ثم قال رحمه الله: الحديث السادس والعشرون

«عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ تعالى عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: كُلُّ سُلَامَى مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ».

هذا الحديث مرتبطٌ أو له اتصال بالحديث الذي قبله، يقول عليه الصلاة والسلام: «**كُلُّ سُلَامَى مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ**»، السُلَامَى هو المفصل.. المفاصل الأعضاء، وجمعه سُلَامَيات، السُلَامَى المفرد بمعنى المفصل، وجمعه سُلَامَيات.

وجسد الإنسان فيه ثلاثمائة وستين مفصل، الأصبع الواحد هذا مثلًا فيه ثلاث مفاصل، لولا المفاصل لما نستطيع أن نحرك أصابعنا، اليد لها مفاصل، الذراع، الكتف، الركبة، أصابع القدم، وهكذا.

ولو تأملنا في هذه النعمة، فقط نعمة المفاصل، نجدها نعمة عظيمة؛ تخيل إنسان بدون مفاصل، خشبة هكذا، ما يستطيع يفعل شيء، يعني أنا لولا أن الله عز وجل وهبني المفاصل ما أستطيع أحمل هذا الماء. صح؟ تخيل الأصابع هكذا ما تستطيع.. ما تستطيع تحركها.

لذلك يجب علينا أن نشكر نعمة الله عز وجل علينا بأن وهبنا هذه المفاصل، وذلك أن نتصدق في كل يوم عن كل مفصل بصدقة، طيب والصدقة كما عرفنا قبل قليل ليست مقتصرة على المال، طيب ما الحل؟ ما العمل؟

قال عليه الصلاة والسلام: «كُلَّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ يَعْدِلُ بَيْنَ الِاثْنَيْنِ صَدَقَةٌ».

يعني أضف إلى ما سبق – كل تسبيحة وكل تحميدة وكل تهليلة إلى آخره – كذلك الإصلاح

بين الناس.. تعدل بين اثنين أي أن تصلح بين المتخاصمين.

«وَيُعِينُ الرَّجُلَ فِي دَابَّتِهِ فَيَحْمِلُهُ عَلَيْهَا وَيَرْفَعُ لَهُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ».

وأنت ماشي تجد إنسان يحمل أغراض فوقفت وحملت معه هذه الأغراض أو أعنته أو وجدته مثلًا يجاهد في دفع شيء ثقيل فأعنته، وهكذا.

«وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ»، «**الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ**» يعني لو مثلًا رأيت رجلًا الصبح فقلت له: أسعد الله صباحك مثلًا، أو أسعد الله مساءك، أو كيف أصبحت؟ كيف أمسيت؟ صدقة. تخيل، الكلمة التي تُدخل السرور على قلب أخيك لك بها صدقة.

«وَبِكُلِّ خُطْوَةٍ يَمْشِيهَا إِلَى الصَّلَاةِ صَدَقَةٌ».

يعني كل ما تمشي إلى الصلاة، كل خطوة – تخيل – لك بها صدقة.

«وَيُمِيطُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ»

إذًا لو تأملنا في هذه الأمور نجدها أمور بسيطة وسهلة وميسورة، ولكن لا يوفَّق لها إلا من وفَّقه الله عز وجل.

كذلك في هذا الحديث أهمية العلاقات الاجتماعية وتوطيد أواصر الأخوة بين المسلمين من خلال إعانتهم، الإسلام يحثنا على إعانة بعضنا بعض، والكلمة الطيبة كما قال الله عز وجل: {وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ} [الإسراء:53]، ولاحظ قول الله عز وجل: {يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ}، يعني إذا عندك كلمتين كلاهما حسن بس واحدة أحسن من الثانية تقول الأحسن. واضح.

ويتأكد هذا مع ذوي القربى وذوي الأرحام، وكذلك الزوج مع زوجته والزوجة مع زوجها والابن مع أبيه وهكذا، فالكلمة الطيبة ومعونة الناس، كل هذه للإنسان بها صدقة.

«رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ».

الحديث السابع والعشرون

« عَنِ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ الْأَنْصَارِيِّ رضي الله تعالى عنه عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْبِرِّ وَالْإِثْمِ، فَقَالَ: الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ، وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي نَفْسِك وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ النَّاسُ»

رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَعَنْ وَابِصَةَ بْنِ مَعْبَدٍ رضي الله عنه قَالَ: أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: جِئْتَ تَسْأَلُ عَنِ الْبِرِّ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، فقَالَ: اسْتَفْتِ قَلْبَكَ، الْبِرُّ مَا اطْمَأَنَّتْ إِلَيْهِ النَّفْسُ وَاطْمَأَنَّ إِلَيْهِ الْقَلْبُ، وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي النَّفْسِ وَتَرَدَّدَ فِي الصَّدْرِ، وَإِنْ أَفْتَاكَ النَّاسُ وَأَفْتَوْكَ. حديث حسن رويناه في مسندي الإمامين أحمد بن حنبل والدرامي رحمهما الله تعالى بإسناد حسن».

هذا الحديث يقول فيه عليه الصلاة والسلام: «**الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ**»، «**الْبِرُّ**» كلمة جامعة بمعنى الخير، يعني كل الخير، وقوله عليه الصلاة والسلام: «**الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ**» مثل قوله عليه الصلاة والسلام: «**الحج عرفة**»، فحصر النبي عليه الصلاة والسلام البر بحسن الخلق، أن تكون بارًا مقبولًا مؤمنًا عند الله عز وجل فعليك بحسن الخلق.

وحسن الخلق كلمة كما سبق أن عرَّفناها جامعة لكل ما يحب أن يراه الناس منك، وكل خلق أمر الله عز وجل به هو من حسن الخلق، كالكرم والابتسامة، وكما عرَّف بعض أهل العلم حسن الخلق بأنه: كفُّ الأذى وبذل الندى، يعني الخلق أمران: تكف أذاك عن الناس وتبذل الخير لهم، فهذا فعلًا كل أنواع الخلق تدخل في هذا، لأن بذل الندى يشمل الأمور المادية ويشمل الأمور المعنوية، وكف الاذى كذلك.

وحسن الخلق على كل حال أمرٌ معروف عند الناس لا يحتاج إلى بيان؛ فـ**الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ**، يعني أن الإنسان إذا كان محافظًا على الصلاة وعلى الصيام وعلى الطاعات ولكنه سيء الخلق مع الناس ليس من أهل البر.. لا يعتبر من أهل البر. واضح؟ وهذا يدل على أهمية الخلق للمسلم.

«**وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي نَفْسِك وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ النَّاسُ**»، «**الْإِثْمُ**» يعني الخطأ والغلط والشيء الخطأ الذي يعني تريد أن تعرف أن هذا الأمر خطأ واللا لأ علامته أن يحيك في نفسك، يعني يتردد وتجدك غير مرتاح من هذا الأمر.

«**مَا حَاكَ فِي نَفْسِك وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ النَّاسُ**»، فله علامتان.. الإثم له علامتان: العلامة الأولى أن يحيك في نفسك، يعني يتردد، وتجدك كارهًا له.. في حرجٍ منه، والعلامة الثانية:

تكره أن يطلع عليه الناس.. لا تريد أن يطَّلع عليه أحد.

ولكن ينبغي هنا أن يُقيَّد هذا بأصحاب القلوب السليمة، ليس الكل؛ لأنه فيه ناس قد بلغوا من المعاصي مبلغًا لا يحيك في أنفسهم شيء ولا يكرهون أن يطلع على معاصيهم أحد، فهذا الحديث المخاطَب به المؤمنون، المسلمون، أصحاب القلوب السليمة. واضح؟

فهذا هو الذي إذا تردد في نفسه الشيء أو حاك في نفسه أو كره أن يطلع عليه الناس فاعلم أن هذا الشيء خطأ فابتعد عنه واتركه.

«رَوَاهُ مُسْلِمٌ»

والحديث الآخر «**عَنْ وَابِصَةَ بْنِ مَعْبَدٍ رضي الله عنه قَالَ: أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: جِئْتَ تَسْأَلُ عَنِ الْبِرِّ؟**»، وهذا من علامات النبوة أن النبي عليه الصلاة والسلام علم الأمر الذي أراد أن يسأل عنه قبل أن يسأل عنه، قال: أنت جئت عشان تسأل عن البر. صح؟ قال: نعم.

فأجابه النبي عليه الصلاة والسلام بنفس معنى الحديث الذي قبله، قال: «**اسْتَفْتِ قَلْبَكَ**»، تبي تعرف الصح من الخطأ شوف قلبك شو يقول؟ «**الْبِرُّ مَا اطْمَأَنَّتْ إِلَيْهِ النَّفْسُ وَاطْمَأَنَّ إِلَيْهِ الْقَلْبُ**»، ما تشعر بحرج فيه، وهذا كما قلنا يُقَيَّد بقيدٍ مهم وهو قيد أن يكون هذا الرجل من أصحاب القلوب السليمة.

«**وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي النَّفْسِ وَتَرَدَّدَ فِي الصَّدْرِ**»، «**تَرَدَّدَ فِي الصَّدْرِ**» بمعنى ما حاك في النفس.. نفس المعنى، يعني فيه حرج، الإنسان مو مرتاح.

«**وَإِنْ أَفْتَاكَ النَّاسُ وَأَفْتَوْكَ**»، وإن قال لك الناس: لأ؛ هذا عادي ما فيها شيء كذا، لكن أنت لست مرتاحًا فهذه علامة على أن هذا الأمر خطأ.

(شرح متن الأربعين النووية)

لفضيلة الشيخ الدكتور

مطلق الجاسر

حفظه الله

المجلس الثامن

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين
سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

الحديث الثامن والعشرون

«عَنِ أبي نَجيح الْعِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: وَعَظَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَوْعِظَةً وَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ وَذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَأَنَّهَا مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ، فَأَوْصِنَا».

هذا كان في آخر حياة النبي عليه الصلاة والسلام، يقول العرباض رضي الله عنه: «**وَعَظَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَوْعِظَةً وَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ**»، يعني: خافت ورقّت، «**وَذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ**»، يعني: سالت بالدمع، «**فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَأَنَّهَا مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ**»، يعني: ما مر علينا موعظة كهذه من قبل منك، «**فَأَوْصِنَا**»، نريد وصية.

«فَقَالَ: أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ تَأَمَّرَ عَلَيْكُم عَبْدٌ؛ فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّين، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ؛ فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ. رَوَاهُ أَبُو دَاوُد وَالتِّرْمِذِيُّ وقال: حديثٌ حسنٌ صحيح».

هذا الحديث العظيم والوصايا الجامعة للنبي عليه الصلاة والسلام مهمةٌ جدًا، يقول عليه الصلاة والسلام: «**أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ**»، قد سبق قلنا أن تقوى الله هي الدين كله، وهذه وصية الله أصلًا سبحانه وتعالى للعالمين، كما قال الله عز وجل {وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللهَ} [النساء:١٣١]، وتقوى الله أن تجعل بينك وبين عذاب الله وقاية بفعل أوامره واجتناب نواهيه.

«**وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ تَأَمَّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ**»، يعني: إذا تولّى عليك والٍ مسلم يجب عليك السمع والطاعة. لماذا؟ لأن السمع والطاعة هي صمام الأمان لأي مجتمع. واضح؟ ولولا السمع والطاعة لانفرطت العقود.. انفرط العقد وسادت الفوضى وعمَّ البلاء، وكذلك يعني السمع والطاعة لا يعني عدم نصح ولاة الأمور وعدم توجيههم إلى ما فيه الخير كما مرَّ معنا في حديث تميم، «**الدين النصيحة**»، ثم قال: «**ولأئمة المسلمين وعامتهم**». واضح؟

فهذا أمر مهمٌ جدًا أوصى به النبي صلى الله عليه وسلم، «**وَإِنْ تَأَمَّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ**»، يعني: وإن تأمَّر عليكم رجل لا ترون أنه يستحق أن يتأمَّر عليكم، ولكن مادام دان له الأمر وأصبح واليًا عليكم وهو مسلم ويقيم الشعائر خلاص، تسمع وتطيع، طبعًا هذا مقيَّد بما لا يخالف الشريعة، لأن النبي عليه الصلاة والسلام قال: «**لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق**».

ثم من علامات النبوة أخبرنا النبي عليه الصلاة والسلام عما سيكون، فقال: «**فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا**»، وهذا حصل؛ تشرذم المسلمين واختلافات المسلمين ويعني تفرُّق المسلمين. فما هو وصية النبي عليه الصلاة والسلام أمام هذه الاختلافات وهذا التشرذم؟

قال: «**فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ المَهْدِيِّين**»، اتركوا كل الخلافات وعليكم بالسنة – سنة النبي عليه الصلاة والسلام – وسنة الخلفاء الراشدين المهديين الذين أتوا بعد النبي عليه الصلاة والسلام، أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم جميعًا.

«**عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ**»، وهذا التشبيه – أن نعضَّ عليها بالنواجذ – فيه يعني أن يتمسك الإنسان بسنة النبي عليه الصلاة والسلام حتى لو فقد أطرافه ولم يستطع أن يمسك بيده بهذه السنة فليتشبث بها بنواجذه، وهذا لا شك إنه يدل على أهمية التشبث بسنة النبي عليه الصلاة والسلام.

وكذلك فيه معنى آخر وهو ربما صعوبة التمسك بسنة النبي عليه الصلاة والسلام في بعض الظروف، ويكون الإنسان فيه يكون القابض على دينه كالقابض على الجمر، وهذا يُلحَظ من هذا الأمر النبوي بالتمسك بالنواجذ يعني ستجدون فيه منازعة، ستجدون هناك من يطعن.. من يستهزئ.. من يعني لا يعين على ذلك، فلا عليكم وتمسكوا وعضوا عليها بالنواجذ.

«**وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ؛ فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**»، وقد سبق معنا حديث عائشة رضي الله تعالى عنها في النهي عن البدع وعرَّفنا البدع فيه.

قال: الحديث التاسع والعشرون

«عَنْ مُعَاذٍ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ تعالى عَنْهُ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ وَيُبَاعِدُنِي مِنَ النَّارِ».

الله أكبر، وهذا يعني يُضَمُّ إلى سلسلة الأسئلة الحكيمة التي كان الصحابة رضي الله تعالى

عنها يسألونها للنبي صلى الله عليه وسلم ويدل على هممهم وحرصهم على الخير، يعني ما يريدون شيء؛ أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ وَيُبَاعِدُنِي مِنَ النَّارِ، سأل عما ينفعه فعلًا.

«فقَالَ عليه الصلاة والسلام: لَقَدْ سَأَلْتَ عَنْ عَظِيمٍ وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ اللَّهُ تعالى عَلَيْهِ».

يعني الأمر اللي سألت عنه أمر عظيم جدًا ولكن عظمه لكن ربنا سبحانه ييسره لمن يستحق ذلك.

«قَالَ: تَعْبُدُ اللَّهَ ولَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ، وَتَحُجُّ الْبَيْتَ».

يعني أمره عليه الصلاة والسلام بأركان الإسلام الخمسة التي سبق أن شرحناها.

«ثُمَّ قَالَ: أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الْخَيْرِ؟ الصَّوْمُ جُنَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ، وَصَلَاةُ الرَّجُلِ من جَوْفِ اللَّيْلِ».

دَلَّهُ النبي عليه الصلاة والسلام بعدما ذكر له الفرائض أرشده إلى النوافل، فذكر الصوم قال أنه جُنَّة، جُنَّة يعني: درع وحماية، والصوم جُنَّة عن ماذا؟ يحميك من ماذا؟ يحميك من الشيطان؛ لأن الشيطان كما أخبر النبي عليه الصلاة والسلام: «**يجري من ابن آدم مجرى الدم**»، والصوم يضيق عليه مجاري الدم.

وكذلك الصوم كما أخبر النبي عليه الصلاة والسلام من لم يتيسر له الزواج حثَّه على الصوم، قال: «**يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فمن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء**».

«**وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ**»، وهذا يذكرنا بحديث النبي عليه الصلاة والسلام قلناه البارحة «**وأتبع السيئة الحسنة تمحها**»، فالصدقة تطفئ خطاياك السابقة كما أن الماء يطفئ النار.

«**وَصَلَاةُ الرَّجُلِ من جَوْفِ اللَّيْلِ**»، يعني قيام الليل.

«ثُمَّ تَلَا: {تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ

يُنفِقُونَ * فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [السجدة: ١٦، ١٧]، ثُمَّ قَالَ: أَلَا أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الْأَمْرِ وَعَمُودِهِ وَذُرْوَةِ سَنَامِهِ؟» أو: «وَذِرْوَةِ سَنَامِهِ»، يصح بكسر الذال وضمِّها.

وَذِرْوَةِ السَنَامِ أي أعلاه، يعني: «**أَلَا أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الْأَمْرِ**»، «**الْأَمْرِ**» يعني: الإسلام والدين والنجاة، «**وَعَمُودِهِ وَذُرْوَةِ سَنَامِهِ**».

«قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ»، والتوحيد، «وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ»، عمود البيت الذي هو الإسلام: الصلاة، وكما أخبر النبي عليه الصلاة والسلام قال: «العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة. فمن تركها فقد كفر».

«وَذُرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ»، أو: «ذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ»، الجهاد في سبيل الله ذروة سنام الإسلام، أعلى ما في الإسلام، والجهاد أنواعٌ كثيرة كما نصَّ على ذلك الإمام ابن القيم رحمه الله في كتابه «زاد المعاد»؛ فقد قسَّم الجهاد وأوصله إلى سبعة عشر نوعًا، منه جهاد النفس عن شهواتها، جهاد النفس عن شبهاتها، جهاد الكفار بالسنان، جهاد الكفار باللسان، جهاد الكفار بالبيان، وجهاد المنافقين، وجهاد العصاة، كل هذا الجهاد.. كل هذا داخلٌ في معنى الجهاد.

«ثُمَّ قَالَ: أَلَا أُخْبِرُكَ بِمِلَاكِ ذَلِكَ كُلِّهِ؟»، يعني: مقصود ذلك كله والأمر الذي يستطيع أن يملك لك هذا كله وتضبط نفسك فيه.

«قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ ثُمَّ قَالَ: كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا»، يعني: اللسان، ثم سأل معاذ فقال: «قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟»، يعني: هل سنُحاسب على كلامنا؟

«فَقَالَ: ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ»، أو: «ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يا معاذ»، وهذه الدعوة «**ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ**» يعني دعوة ليست مقصودة لذاتها؛ أصل الدعوة يعني: تموت وتصبح أمك ثكلى، ولكن هذه الدعوة تقولها العرب ولا يقصدون حقيقتها، كذلك النبي عليه الصلاة والسلام قال كما أخبر عن نفسه عليه الصلاة والسلام أنه سأل ربه عز وجل أنه ما دعا إلى إنسانٍ دعوة لا يستحقها إلا تكون له بها صدقة.

فليس المقصود حقيقة الدعوة ولكن المقصود استغراب النبي عليه الصلاة والسلام من عدم علم معاذ بهذا الأمر.

«فقال: ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ، وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ، أَوْ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ؟ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وقال: حَدِيث حسن صَحِيحٌ».

يعني لما سأل النبي عليه الصلاة والسلام سأل معاذٌ النبيَّ صلى الله عليه وسلم: هل نحن مؤاخذون بما نتكلم؟ فقال النبي عليه الصلاة والسلام: ثَكِلَتْكَ أُمُّك، يعني: كيف؟ مو بس مؤاخذون، أصلًا اللي يدخل الناس النار اللسان.

وليس قضية فقط مؤاخذة، بل قضية أنه جُلّ وأغلب من دخل النار دخله بسبب اللسان. لماذا؟ لأن اللسان هو الذي يدخلك في الإسلام بنطق الشهادتين، وهو الذي يخرجك منه، إذا سببت الله تخرج من الإسلام، أو سببت النبي عليه الصلاة والسلام أو بكلمة واحدة بإمكانك أن تخرج من الإسلام، كذلك الغيبة والنميمة والشتم واللعن، بل كم من كلمةٍ صارت سببًا لموت صاحبها؟

لذلك اللسان أمره خطير وعظيم وكما أخبر النبي عليه الصلاة والسلام: «رب كلمةٍ يقولها الإنسان لا يلقي لها بالًا تهوي به النار سبعين خريفًا»، لذلك ينبغي على الإنسان أن يعي ينتبه لذلك، ونضم ذلك لحديث النبي عليه الصلاة والسلام: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت».

قال: الحديث الثلاثون

«عَنْ أَبِي ثَعْلَبَةَ الْخُشَنِيِّ جُرثُوم بن ناشرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فَرَضَ فَرَائِضَ فَلَا تُضَيِّعُوهَا، وَحَدَّ حُدُودًا فَلَا تَعْتَدُوهَا، وَحَرَّمَ أَشْيَاءَ، فَلَا تَنْتَهِكُوهَا، وَسَكَتَ عَنْ أَشْيَاءَ رَحْمَةً لَكُمْ غَيْرَ نِسْيَانٍ، فَلَا تَبْحَثُوا عَنْهَا. حَدِيثٌ حسنٌ رَوَاهُ الدارقطني وَغَيْرُهُ».

هذا الحديث بيَّن فيه النبي صلى الله عليه وسلم أن الله عز وجل فرض فرائض وحدَّ حدود وحرَّم أشياء وسكت عن أشياء، فالفرائض هي الواجبات من أركان الإسلام الخمسة وغيرها من

الواجبات، فهذه لا تضيعوها.. إياكم أن تضيعوها.

وحدَّ حدودًا فلا تنتهكوها، والحدود هي الحواجز والزواجر التي جعلها الإسلام بينك وبين الحرام، فحرَّم عليك مثلًا الزنا ووضع له حدًّا، وحرَّم الربا كذلك والسرقة، وضع حدود بينك وبين المحرمات فَلَا تَعْتَدُوهَا.

كأن مثلًا جعل الإسلام مثلًا حدَّ الزواج بأربع زوجات فلا تتعد هذا الحد، حرَّم الإسلام زواج الرجل بمثلًا أخته فلا تتعد هذا الحد، وهكذا، حدَّ وضع حدود كما قال الله عز وجل: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللهِ فَلا تَعْتَدُوهَا﴾ [البقرة:٢٢٩].

«**وَحَرَّمَ أَشْيَاءَ، فَلَا تَنْتَهِكُوهَا**»، من المحرمات الزنا والربا والسرقة إلى آخره، «**وَسَكَتَ عَنْ أَشْيَاءَ**»، لم يأتِ فيها تحريم ولم يأتِ فيها حلٌّ صريح، الأمور المسكوت عنها، «**رَحْمَةً لَكُمْ غَيْرَ نِسْيَانٍ**»؛ لأن الله عز وجل لا ينسى، ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مريم:٦٤]، «**فَلَا تَبْحَثُوا عَنْهَا**».

وهذا الحديث دليلٌ لجمهور أهل العلم الذين قالوا أن الأصل في الأشياء الإباحة، وأن الأمور التي لم يرد فيها نص يحرِّم فهي مباحة، فإذا اختلف اثنان في أمر هل هو حلالٌ أم حرام فمن المطالب بالدليل؟ المحرِّم أم المبيح؟ واضح؟ أما المبيح فنقول: الأصل في الأشياء الإباحة، والمحرِّم هو الذي يطالَب بالدليل وليس المبيح.

«**حَدِيثٌ حسنٌ رَوَاهُ الدارقطني وَغيرُهُ**».

الحديث الحادي والثلاثون

«**عَنْ أبي العباس سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ رضي الله تعالى عنه قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ**»، وهذا انظر أيضًا من أمثلة حسن أسئلة الصحابة للنبي صلى الله عليه وسلم، «**قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ إِذَا عَمِلْتُهُ أَحَبَّنِي اللَّهُ وَأَحَبَّنِي النَّاسُ**»، يعني ما هو العمل الذي إذا فعلته أنال محبة الله ومحبة الناس؟ «**فَقَالَ: ازْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبَّكَ اللَّهُ، وَازْهَدْ فِيمَا عِنْدَ النَّاسِ يُحِبَّكَ النَّاسُ. حَدِيثٌ حسن رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهْ وَغَيْرُهُ بأسانيد حسنةٍ**».

هذا الحديث طبعًا كما قلنا يدل على حسن أسئلة الصحابة رضي الله عنهم، وكذلك يدل

على أن نيل حب الناس أمرٌ حسن لم ينكره النبي صلى الله عليه وسلم، يعني إن الإنسان يسعى لأن يكون محبوبًا عند الناس ليس خطأ وإلا لو كان خطأً أو كان مذمومًا لقال النبي عليه الصلاة والسلام: ولماذا تريد الناس يحبونك؟ مثلًا، لكنه أجابه على سؤاله، وهذا يدل على أن السعي لنيل رضا الله ورضا الناس أمرٌ محمود وأمرٌ حسن.

ثم قال عليه الصلاة والسلام: «**ازْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبَّكَ اللَّهُ**»، الزهد هو عدم التعلق بالشيء، تقول: زهدت في هذا الشيء يعني: ليس لي فيه تعلُّق ولا رغبة، والزهد في الدنيا منزلة عظيمة من أعظم المنازل، بل هو أعظم من الورع، لأن الزهد هو ترك ما لا ينفع في الآخرة، يعني ترك الأمور كما تسمى يعني الفضول.. فضول الدنيا.

فإذا كان الإنسان يكفيه من الطعام والشراب هذا المقدار فما زاد عنه يسمى فضل.. فضول، فالزهد هو الزهد في هذه الفضول وأن يأخذ الإنسان من الدنيا ما يجعله يعيش عيشةً كريمة فقط وما زاد عن ذلك يزهد فيه، وفيه مراتب؛ هناك من يزهد زهدًا عظيمًا ويقتصر على يعني مقدار ما يعيش الإنسان، وهناك إنسان لأ؛ يزهد بمستوى آخر.

ثم أن الزهد لا يعني ترك الدنيا جميعًا، بل الزهد أن تكون الدنيا في يدك لا في قلبك، ما تكون في قلبك، يعني ليس المقصود بالزهد أن تكون فقيرًا. واضح؟ بل اثنان من العشرة المبشرين بالجنة من الصحابة من كبار تجار المدينة وهم: عثمان وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهما، ومع ذلك هما من أجِلَّة الصحابة من زُهَّاد الصحابة كذلك.

فالزهد لا يرادف الفقر، بل أحيانًا هناك رجل فقير غير زاهد وهو فقير، وهناك غني زاهد، فالزهد هو إخراج التعلُّق بالدنيا والمال من قلبك، ولكن ممكن أن يكون بيدك، تمسك المال بيدك تنفقه في مرضاة الله.. تنفقه في مساعدة الناس إلى آخره.

«**يُحِبَّكَ اللَّهُ، وَازْهَدْ فِيمَا عِنْدَ النَّاسِ يُحِبَّكَ النَّاسُ**»، الناس تبغض من ينازعها في دنياها، فإذا رأوك زاهدًا في دنياها وزاهدًا فيما عندها وليس لك تعلُّق فيما في أيديها أحبوك، أما إذا كنت منازعًا أو منافسًا لها في دنياها أبغضوك، وهذا لا شك أنه أمرُ واضح.

الحديث الثاني والثلاثون

«عَنْ أَبِي سَعِيدٍ سَعْد بن مَالِك بن سِنَان الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ. هذا حَدِيثٌ حَسَنٌ راه ابنُ ماجه والدارقطني وغيرهما مسندًا، ورواه مالك رحمه الله تعالى في الموطأ عن عمرو بن يحيى عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم مرسلًا، فأسقط أبا سعيد، وله طرق يَقْوَى بَعْضُهَا بِبَعْضٍ».

هذا الحديث أصل من أصول الإسلام وهو أحد القواعد الفقهية الخمس الكبرى، قاعدة الضرر يزال أو قاعدة لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ.

و«الضرر» هو كل ما يضر الإنسان أو يسبب له أذى، واختلفوا في الفرق بين الفرق **الضَرَرَ والضِرَارَ** على أقوال لكن أشهرها هو **الضَرَرَ**: ما يضر نفس الإنسان.. يضر الإنسان نفسه، **والضِرَارَ**: ما يضر غيره، وكلاهما محرَّم؛ أن تضر نفسك وأن تضر غيرك.

وتفصيل هذا الحديث وما فيه من أنواع نفي الضرر وإزالة الضرر أحيلكم فيه على شرح منظومة القواعد الفقهية في شرح قاعدة الضرر يُزال، فالتفصيل هناك إن شاء الله.

قال رحمه الله تعالى: الحديث الثالث والثلاثون

«عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: لَوْ يُعْطَى النَّاسُ بِدَعْوَاهُمْ لَادَّعَى رِجَالٌ أَمْوَالَ قَوْمٍ وَدِمَاءَهُمْ، لَكِنَّ الْبَيِّنَةَ عَلَى الْمُدَّعِي وَالْيَمِينَ عَلَى مَنْ أَنْكَرَ. حَدِيثٌ حسن رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ وَغَيْرُهُ هَكَذَا، وَبَعْضُهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ».

هذا الحديث أصل من أصول الإسلام فيما يتعلق في باب القضاء، وهو عليه مدار فقه القضاء في الشريعة الإسلامية، يقول عليه الصلاة والسلام: «**لَوْ يُعْطَى النَّاسُ بِدَعْوَاهُمْ**»، يعني: بمجرد دعواهم، لو مجرد أن يَدَّعي الإنسان يُعطى ما يدعيه «**لَادَّعَى رِجَالٌ أَمْوَالَ قَوْمٍ وَدِمَاءَهُمْ**»، وهذا أمر حاصل مشاهَد، فالإنسان إذا فُتح له المجال إذا مجرد أن يدَّعى يُعطى لادَّعى أناس أمور لا يستحقوها.

«**لَكِنَّ الْبَيِّنَةَ عَلَى الْمُدَّعِي وَالْيَمِينَ عَلَى مَنْ أَنْكَرَ**»، يعني: أن القاعدة والأصل في القضاء أن المدِّعي الذي يزعم أن له حقًا في مال أو دم أو نحو ذلك هو المطالب بالبَيِّنَة، والبَيِّنَة هي إما

الشهود أو كتاب أو وثيقة أو نحو ذلك من الأمور التي تفصيلها في باب القضاء.

«**وَالْيَمِينَ عَلَى مَنْ أَنْكَرَ**»، يعني: إذا لم يكن مع المدعي بَيِّنَة فإنه يُرجع إلى المدَّعَى عليه، فإن أقر حُكم عليه وإن أنكر يُطالب باليمين، يعني يحلف، فإن حلف اندفعت القضية عنه ولا يُحكم عليه، فإن نكل، يعني لم يحلف، حُكم عليه.

هذا هو ملخص سير القضية في الشريعة الإسلامية، وطبعًا المسألة فيها تفصيل أكثر مردُّها ومرجعها إلى فقه القضاء.

قال: الحديث الرابع والثلاثون

«عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِي اللهُ تَعَالَى عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: مَنْ رَأَى مِنْكُم مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ. رَوَاهُ مُسْلِمٌ».

هذا الحديث أصل أيضًا من أصول الإسلام يشهد للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب على المسلمين.

«**مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ**»، قوله: «**مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا**» يدل على أن الإنسان لا يتجسس ويبحث وينقب عن أهل المنكرات إذا لم يكن مُوَكَّلًا بذلك، يعني لا تتجسس على الناس في بيوتها لكي تنكر عليها، لا هذا ليس من هدي النبي عليه الصلاة والسلام.

لكن إذا ظهر المنكر أمامك وجاهر به صاحبه لأ يجب أن تنكر، «**فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ**»، تغيره بيدك إن استطعت، ها المرتبة الأولى، إن كان لك صلاحيةٌ في هذا، إذا كنت مخوَّلًا أو مؤهَّلًا لذلك ففي هذه الحالة يجب عليك أن تغيره بيدك.

فإن لم تستطع؟ ما تستطيع، ليس لك صلاحية وليس عندك صلاحية لهذا التغيير، «**فَبِلِسَانِهِ**»، يعني: تنكر بلسانك وتقول: هذا حرام لا يجوز، اتق الله، فإن استجاب فالحمد لله وإن لم يستجب فقد أبرأت ذمتك.

«**فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ**». كيف لا يستطيع رغم أن اللسان يعني سهل أن الإنسان يتكلم؟ الجواب:

«**إِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ**» أي: خشي من إنكاره بلسانه ضررًا في بدنه شديدًا، يعني: يُضرب.. يُقتل، في هذه الحالة ما يستطيع.

وليس الخجل مانعًا أو عذرًا، بعض الناس يستطيع أن ينكر وليس عليه ضرر لكن ما يمنعه إلا الخجل، ولا أقول الحياء لأن الحياء لا يأتي إلا بخير، ولكنه خجل، يعني يتوهم أنه إذا تكلَّم ربما يفعلون كذا، والواقع خلاف ذلك، فهذا ليس عذرًا.

لكن لو فرضنا أنه لم يستطع فعلًا وأنه يترتب عليه ضرر في كلامه؟ «**فَبِقَلْبِهِ**»، يعني: يكتفي بقلبه، ولا يعني ذلك أن الإنكار بالقلب غير موجود في المرتبة الأولى ولا المرتبة الثانية، بل الإنكار بالقلب في جميع المراتب، ولكن المقصود «**فَبِقَلْبِهِ**» أي: فيكتفي بالإنكار في قلبه.

«**وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ**»، ولكن الإنكار بالقلب يستلزم إيش؟ يستلزم بغض هذه المعصية وكذلك عدم مجالسة من يفعلها وعدم حضور هذا المكان الذي يأتيه؛ لأننا سبق أن مر معنا حديث النعمان: «**كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه**»، وكذلك يقول ربنا سبحانه: **{وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ}** [الأنعام:٦٨].

إذًا الإنكار بالقلب من لوازمه عدم مجالسة أهل المنكر وعدم الجلوس معهم.

(شرح متن الأربعين النووية)

لفضيلة الشيخ الدكتور
مطلق الجاسر
حفظه الله

المجلس التاسع

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين
سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد.

قال المصنف رحمه الله تعالى: الحديث الخامس والثلاثون

«عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ تعالى عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا، الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ وَلَا يَكْذِبُهُ وَلَا يَحْقِرُهُ، التَّقْوَى هَاهُنَا؛ وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مِرَارٍ - بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ: دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ. رَوَاهُ مُسْلِمٌ».

هذا الحديث حديثٌ عظيمٌ جدًا لك أن تسميه دستور الإخوَّة الإسلامية أو قانون الإخوَّة الإسلامية أو ميثاق الإخوَّة الإسلامية؛ ففي هذا الحديث وضع النبي صلى الله عليه وسلم الإطار الذي ينبغي أن يوضع في علاقة المسلم مع أخيه المسلم.

قال عليه الصلاة والسلام: «**لَا تَحَاسَدُوا**»، نهى عن الحسد، و«الحسد» هو تمني ما أنعم الله عز وجل به على المسلم مع تمني زوالها منه، يعني أن يتمنى الانسان ما بيد أخيه المسلم من نعمة، سواءٌ كانت ماديةً أو معنويةً، ويتمنى أن تزول من أخيه.

وهذا لا شك أنه إثمٌ عظيم، بل فيه سوء أدب مع الله سبحانه وتعالى؛ لأن الذي أعطى هذا الإنسان الله سبحانه، فإذا تمنيت زوال هذه النعمة من أخيك فأنت تنسب الخطأ وسوء التدبير لله عز وجل؛ الله عز وجل هو الذي أعطاه وحرمك، وبالتالي من حقك أن تجتهد وتنافس في الخير، لكن ليس من حقك أن تتمنى أو تسعى لزوال نعمة أخيك منه.

والحسد قد يختلط بالغبطة وقد يشتبه على بعض الناس قول النبي صلى الله عليه وسلم: «**لا حسد إلا اثنتين: رجلٌ آتاه الله مالًا فسلطه على هلكته بالحق، ورجلٌ آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها**».

ومقتضى الحديث الثاني هذا أن الحسد ممنوع إلا في هاتين الحالتين فيجوز الحسد، ولكن المعنى ليس هكذا؛ لأن الحسد المقصود في الحديث الثاني هو الغبطة، ولكن قد تُسمى الغبطة

بالحسد أحيانًا، وهي غير الحسد المنهي عنه هنا، والفرق بينهما أن الغبطة أن تتمنى ما عند الغير مع عدم زوالها عنه؛ تحب أن يكون عندك ما عند أخيك من نعمة ولا تتمنى أن تزول منه.. تتمنى أن تكون مثله. واضح؟

وهذا أمر محمود، والنبي عليه الصلاة والسلام أخبر أن هذا الشعور لا يستحق أمر أن تشعر تجاهه هذا الشعور إلا هذين الرجلين وهو من أوتي العلم والرجل الثاني من أوتي المال ويتصدق بهذا المال، هما اللذان يستحقان أن تشعر تجاههما بالغبطة، أما الحسد فهو منهيٌّ عنه كله لأنه فيه تمنٍّ لزوال نعمة الله عز وجل عن الآخرين.

«**وَلَا تَنَاجَشُوا**»، «النجش» مأخوذ من: نجش الصيد، تقول: نجشتُ الصيد يعني: أثرته وحركته وجعلته يعني ينتقل من مكان إلى مكان، تقول: نجش الصيد يعني: حركه وأثاره حتى يتحرك من مكانه إلى مكانٍ آخر.

و«النجش» في الاصطلاح هو أن يغالي في السلعة من لا يريد شرائها رغبةً في أن يرفع سعرها على الآخرين، يغالي يعني يقول هذه السلعة كم؟ مائة. قال: أنا أدفع فيها مائة وخمسين.. مائة وستين، سواءٌ كان في مزاد أو كان في بيعٍ عادي، إذا كان في مزاد تجده يزيد مع الناس لا بغرض الشراء وإنما بغرض إيهام الناس أن هذه السلعة مرغوبة أو أن عليها طلب أو أنها محبوبة.. إلى آخره.

وهذا غالبًا ما يكون بالاتفاق مع البائع، ولكن أحيانًا قد لا يكون بالاتفاق مع البائع؛ قد يكون إنسان هكذا يريد أن يرفع سعر سلعة معينة ولو لم يدرِ البائع، وفي الحالتين هي حرام، لا يجوز أن يغش لأنه نوع من الغش بأن يوهم السامعين أن هذه السلعة قيمة وأنها غالية وأنها مرغوبة وهي خلاف ذلك.

قال: «**وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا**»، «التباغض» يعني الكراهية، والنهي عن التباغض نهيٌ عن أسبابه؛ لأن البغض أمر قلبي، فلما نُنْهى عن التباغض أي نُنْهى عن أسبابه، يعني: لا تفعل ما يجعل أخاك يغضب منك، وإذا فعل أخوك أمرًا يغضبك فحاول أن تحسن الظن به وأن تجد له إيش؟ مخرجًا، يعني قل: لعله قصد كذا، لعله لم يقصد كذا، فتتجنب قدر المستطاع أن تبغض

أخاك.

والبغض المقصود به هنا هو البغض في غير ذات الله، وهو مذموم، أما البغض في الله فهذا أمر محمود، أن تبغض الإنسان لله فهذا أمرٌ حسن.. تبغضه لمعصيته.. لكفره.. لعصيانه، وجاء في مسند الإمام أحمد عن أبي أمامة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من أحبَّ لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان»، فالبغض هنا أي في غير الله عز وجل.

«**وَلَا تَدَابَرُوا**»، و«التدابر» هو الإعراض، مأخوذ من الدبر، أي أن كل إنسان يعطي دبره للآخر، يعني لا يراه بوجهه ولا يقوم بحقه، هذا معنى التدابر، لا يسلم عليه تدابر، لا يحضر دعوته تدابر، لأن من حق المسلم على المسلم رد السلام وحضور الدعوة واتباع الجنازة، حقوق المسلم على المسلم، فالتدابر هو عدم الإتيان بحق المسلم.

طيب ما الفرق بين التباغض والتدابر؟ الفرق أن التباغض أمرٌ قلبي والتدابر أمرٌ ظاهري، ولا تلازم بينهما؛ قد تبغض إنسانًا ولا تتدابر معه، يعني في قلبك من الداخل تبغضه ولكنك لا تقطع العلاقة معه، تعطيه حقه في الإسلام، والعكس؛ قد تتدابر مع إنسان ولا تبغضه، فلا تلازم بينهما، ونحن منهيون عن الأمرين، عن التباغض وعن التدابر.

«**وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ**»، يعني: لا يبع أحد على بيع أحد، ما معنى ذلك؟ يعني أن يأتي إنسان قد تمت بيعة بين اثنين في أمر من الأمور فيأتي إلى المشتري ويقول له: بكم اشتريت هذه السيارة مثلًا؟ قال: بعشرة آلاف. قال: أنا عندى سيارة أحسن منها بتسعة فقط، فيأتيه في وقت خيار مثلًا، إما في مجلس العقد أو بعد الرضا وقبل العقد، فيجعله يفسخ العقد. واضح؟ ويفسد البيعة الأولى، وهذا حرام بلا شك.

أو العكس؛ قد يأتي للبائع. قال: بكم بعت السيارة؟ قال: بعتها بعشرة آلاف. فيقول له: لو انتظرتني لاشتريتها منك بإحدى عشر، فيفسد البيعة على من هو؟ على المشتري.

وفي الحالتين حرام.

طيب هل يفسد العقد بذلك أم لا يفسد؟ إذا كان هذا البيع على البيع بعد العقد، يعني في وقت الخيار، لا يصح العقد الثاني هذا، الذي أتى وقال: بِعْنِي وأترك الأول. لا يصح عقده، لو

باعه وترك الأول وباعه فبيعهم باطل، هذا على قول، هناك من قال خلاف ذلك.

أما قبل العقد، يعني: تم الاتفاق المبدئي ولكن لم يعقدوا العقد بعد، فأتاه من غيَّر رأيه وأفسد بيعته الأولى، فهنا يحرم ولكن العقد الثاني يكون صحيحًا.

«**وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا**»، هذه الوصية الجامعة التي تجمع كل ما سبق، يعني باختصار: كونوا عباد الله إخوانًا، يعني: لا تفعل ما سبق ذكره.

وأيضًا قال عليه الصلاة والسلام: «**الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ**»، و«الظلم» هو التعدي على الحقوق، سواءٌ كان ظلمًا حسيًّا أو معنويًا، «**وَلَا يَخْذُلُهُ**»، و«الخذلان» هو ترك النصرة إذا احتاجها المسلم.. إذا احتاج المسلم نصرةً منك، سواءٌ كانت معنويةً أو حسيَّة، وأنت قادرٌ على نصرته فتركت نصرته فأنت قد خذلته، وهذا خذلان.

«**وَلَا يَكْذِبُهُ**»، يعني: يكذب عليه، «**وَلَا يَحْقِرُهُ**»، يعني: يحتقره، ما يحقر المسلم أخاه، مهما كان المسلم من مثلًا حالةٍ ماديةٍ أو جسديةٍ أو نحو ذلك؛ لأنك إذا احتقرت المسلم خصوصًا والإنسان عمومًا فأنت احتقرت خلق الله سبحانه، فالله عز وجل هو الذي خلقه بهذه الصورة إن احتقرته لأجل صورته، أو لأجل ماله فالله عز وجل هو الذي حرمه المال مثلًا، وبالتالي لا يجوز لك أن تحتقر أحدًا، والمسلمين خصوصًا.

«**التَّقْوَى هَاهُنَا، وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مِرَارٍ**»، يقول عليه الصلاة والسلام: «**التَّقْوَى هَاهُنَا، التَّقْوَى هَاهُنَا، التَّقْوَى هَاهُنَا**»، يعني: باحتقارك لأخيك أنت لا تدري مقدار التقوى الذي في صدره؛ ربما يكون هو أتقى منك وأقرب إلى الله عز وجل منك.

لكن هذا اللفظ «**التَّقْوَى هَاهُنَا**» بعض الناس يفهمه خطأً فيقول: لا يهم شكل الإنسان والتزام الإنسان بالشعائر، ممكن ما أصلي، ممكن المرأة تترك الحجاب، ممكن الإنسان يعصي ثم يقول: التقوى وين؟ في القلب، والمهم هو القلب! طيب الصلاة؟ لأ؛ أهم شيء القلب. لا؛ هذا ليس هو مقصود النبي عليه الصلاة والسلام. لماذا؟ لأن القلب إن كان فعلًا فيه تقوى فستظهر هذه التقوى على الجوارح، ولن يستطيع الإنسان أن يدعي أن فيه تقوى وهو تارك الطاعات الظاهرة.

فإذًا ليس المقصود من الحديث التساهل في الطاعات بحجة أن الإيمان في القلب، الإيمان في القلب نعم ولكن الإيمان ليس فقط في القلب؛ الإيمان في القلب وفي الجوارح وفي اللسان أيضًا.

«**بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ**»، يعني: يكفيك إثمًا وشرًا أن تكون فيك صفة احتقار المسلمين، فيها إثم عظيم جدًا يكفيك عن بقية الآثام والعياذ بالله.

«**كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ: دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ**»، المسلم حرامٌ عليك إيش؟ **دَمُهُ** بأن تقتله أو تجرحه أو تضربه، **وَمَالُهُ** بأن تسرقه أو أن تحبس حقه عنه أو تفعل في ماله ما لا يجوز، **وَعِرْضُهُ** يعني غيبته؛ لأن عرفنا سابقًا أن العِرض هو موضع الذم والمدح من الإنسان، سبُّهُ وشتمه وغيبته واتهامه فيما ليس فيه، كل هذا انتهاكٌ لعِرض المسلم وكل هذا حرام.

«**رَوَاهُ مُسْلِمٌ**».

الحديث السادس والثلاثون

«عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ تعالى عَنْهُ عَنْ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ».

هذا الحديث فيه دلالةٌ ظاهرة على أن الجزاء من جنس العمل، وأن الله سبحانه وتعالى يجازيك من جنس أعمالك، فإذا نفَّست عن مؤمنٍ كربة و«التنفيس» هو إخراج المسلم من كربته أو من ضيق الكربة إلى السعة، ومنه التنفيس الذي يفتح الإنسان للشيء المغلق فتحةً ليتنفس منها، هذا معنى التنفيس، بحيث الإنسان يكون مضغوطًا في كربةٍ من الكرب أو ضائقةٍ من المضائق فينفس عليه ويفتح له فتحة يستطيع أن يتنفس منها. واضح؟

فمن فعل ذلك بمسلم يجازيه ربه سبحانه بأن ينفس عليه كربةً من كرب يوم القيامة، تجده ضائق في معصية لم تُغفر مثلًا أو في مشكلة وقع منها لم يتب ففوجئ بها يوم القيامة، ﴿أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ﴾ [المجادلة:٦]، ويكاد أن يهلك بسببها، فيأتي ربنا سبحانه لأنه في يومٍ من الأيام قد نفَّس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا، ساعده في ضائقة مالية، أو شفع له عند أحد فحُلَّت له مشكلة، أو أي أمر من الأمور اللي فيه تنفيس، فيجد ربه سبحانه يوم القيامة يخرجه من هذه

الكربة وينفس عنه هذه الكربة، وهذا لا شك جزاء عظيم؛ فلا مقارنة بين كرب الدنيا وكرب يوم القيامة.

«وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ»، مُعْسِرٍ قد استدان منك وليس عنده سداد فيسَّرت عليه إما بإسقاط الدين كله أو بتنقيص الدين أو بتأجيل السداد بدون مقابل وبدون ربا، فجزاؤك إن شاء الله أن ييسر الله عليك في الدنيا والآخرة.

«وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ»، إذا فعل المسلم معصيةً سرًا أو فيه عيب، لأن الستر قد يكون عن معصية وقد يكون عن عيب من العيوب، وليس بالضرورة أن يكون معصية، وفي الحالتين أنت مأمورٌ بالستر على المسلم وعدم فضحه.

أما إذا كان الإنسان مجاهرًا أصلًا ولم يستر نفسه هو بالمعصية فلا ستر له؛ لأنه إيش؟ مجاهر أصلًا، يعني أنت لم تضره بشيء. واضح؟ أما من ستر المسلمين فإنه جزاؤه أن يستره الله في الدنيا والآخرة.

ثم قال عليه الصلاة والسلام: **«وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ، مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ»**، طالما أنت تعين إخوانك وتسعى في حوائجهم وتقضى حاجاتهم فاعلم أن الله عز وجل في عونك، فتجد أمرًا مستعصيًا عليك متأخر دون أن تسعى تجد هذا الأمر سبحان الله يُحلُّ بسبب أنك قد سعيت في حاجات المسلمين.

ثم قال عليه الصلاة والسلام: **«وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ»**، **«مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا.. »** وسلوك الطريق نوعان، سلوكٌ حسي بأن تخرج من بيتك وتحضر مجالس العلم وتستمع وتتعلم، أنت سلكت طريقًا، أو معنوي.. سلوكٌ معنوي بأن تفتح كتابًا مثلًا وتقرأ في العلم، فهذا أيضًا يدخل في هذا الفضل.

«سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ»، وهذا فضلٌ عظيم للعلم؛ لأنه سبب من أسباب دخول الجنة.

«وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ»، وهذا فضلٌ

عظيم للاجتماع على تلاوة القرآن وتفسيره وتدبره في المساجد.

وهذا يدل على فضل الاجتماع على العلم، النبي عليه الصلاة والسلام قال: «**مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ**»، وهذا فيه فضل الاجتماع على العلم ومذاكرة العلم؛ لأن الإنسان إذا اجتمع مع غيره في العلم، سواءٌ تحصيلًا أو مذاكرة، فإنه يضيف عقلًا إلى عقله، وبالتالي يستفيد أكثر، وهذا فضلٌ عظيم.

وقد نص أهل العلم على أن هذا الحديث وإن ورد في المساجد إلا أنه أيضًا لا يختص بها؛ فلو اجتمعوا في غير المساجد لتدبر القرآن فإن هذا الفضل بإذن الله يحصل لهم، وإنما نُصَّ على المساجد لأنها أشرف الأماكن التي يمكن أن يُجلس فيها في مثل ذلك، فيحصل لهم نزول السكينة، و«السكينة» بمعنى طمأنينة القلب وراحة الصدر.

«**وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ**»، تغشاهم الرحمة يعني: تنزل عليهم الرحمة من الله عز وجل، «**وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ**»، تحفهم الملائكة، يعني يجلسون حولهم بحيث لا نراهم، ربنا سبحانه وتعالى يراهم، وقد جاء في عدة أحاديث أن الملائكة يسيرون في الأرض ويسيحون ويتتبعون مجالس الذكر، فإذا وجدوا مجلسًا يُذكر ربُّنا سبحانه وتعالى فيه تحفُّهم الملائكة، «**وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ**»، وهذا شرفٌ عظيم أن يُذكر اسمك في الملكوت الأعلى.

«وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ. رَوَاهُ مُسْلِمٌ بهذا اللفظِ».

هنا في تشبيه السعي للقرب من الله عز وجل بأنه سباق.. كأنه سباق، وهذا السباق مادته التي تجعل الإنسان يسير فيه العمل الصالح، فمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ يعني ليس له عمل صالح يسرع به في هذا السابق واتَّكل على نسب، يقول: أنا ابن فلان! أو أنا من آل البيت مثلًا وأنا من نسل الرسول عليه الصلاة والسلام أو أنا ابن للشيخ فلان أو ابن للعالِم فلان أو نحو ذلك فهذا أمرٌ لا ينفعه شيئًا.

«**مَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ**»، إذا اتَّكل فقط على النسب أو على أمور أخرى غير العمل الصالح فلن يسرع به هذا النسب ولن يقدمه، وأوضح دليلٍ على ذلك أن أقرب الناس للأنبياء منهم من هو مخلَّد في نار جهنم، ابن نوح عليه السلام أبى أن يركب مع أبيه في السفينة فكان من المغرقين، وعم

النبي عليه الصلاة والسلام أبو لهب وعمه أبو طالب وكثير وزوجات بعض الأنبياء مثل زوجة لوط هاه؟ وغيرهم، كل هؤلاء لم ينفعهم نسبهم وقرابتهم من أحب الخلق إلى الله وهم الأنبياء.

بالمقابل زوجة فرعون وهو أبغض المشركين وادعى الربوبية لم يضرها قربها من فرعون، بل قالت: {رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} [التحريم: ١١].

المهم أن النسب والقرابة من إنسانٍ صالح لا تقربك إلى الله، كما أن القرابة من إنسانٍ فاسق لا تبعدك عن الله، الذي يبعدك ويقربك عملك أنت فقط.

الحديث السابع والثلاثون

«عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا يَرْوِيهِ عَنْ رَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى»، فهذا حديثٌ كما سبق حديثٌ قدسي، «قَالَ: إِنَّ اللَّهَ تعالى كَتَبَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ»، بيّن طريقة كتابتها، كيف تُكتب الحسنات؟ وكيف تُكتب السيئات؟ «فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، وَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِ مِئَةِ ضِعْفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ، وَإِنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، وَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ في صحيحيهما بهذه الحروف.

ثم علّق الإمام النووي رحمه الله فقال: «فانظر يا أخي – وفقنا الله وإياك – إلى عظم لطف الله تعالى»، تأمل عظم لطف ربنا سبحانه في هذا الحديث. كيف؟ «وتأمل هذه الألفاظ. وقوله (عنده) إشارة إلى الاعتناء بها»، ما قال عليه الصلاة والسلام في قوله «كَتَبَهَا اللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً».. «كَتَبَهَا اللَّهُ عِنْدَهُ»، وهذا يدل على الاعتناء.

«وقوله (كَامِلَةً)»، لو تلاحظون لما قال عليه الصلاة والسلام: «فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، وَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا ... عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِ مِئَةِ ضِعْفٍ»، لكن لما جاء للسيئة ماذا قال؟ قال: «كَتَبَهَا اللَّهُ عِنْدَهُ، إذا لم يعملها، حَسَنَةً

كَامِلَةً»، ولكن إذا عملها؟ قال: «**سَيِّئَةً إيش؟ وَاحِدَةً**».

في مقام ذكر الحسنة عبَّر بأنها «**كَامِلَةً**»، وفي مقام ذكر السيئة عبَّر بأنها «**وَاحِدَةً**» تقليلًا لها، لذلك قال النووي رحمه الله: «**قوله (كَامِلَةً) للتوكيد وشدة الاعتناء بها. وقال في السيئة التي همَّ بها ثم تركها (كَتَبَهَا اللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً) فأكدها بـ(كَامِلَةً) وإن عملها كَتَبَهَا اللَّهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً، فأكد تقليلها بـ(وَاحِدَةً) ولم يؤكدها بإيش؟ بـ(كَامِلَةً). فلله الحمد والمنة سبحانه لا نحصي ثناء عليه، وبالله التوفيق**».

فهذا الحديث من فضل الله عز وجل أن هناك من الحسنات من تُكتب لك ولم تعمل شيئًا، مجرد أن تَهُمَّ بالحسنة وتعزم تُكتب لك حسنة، ولكن إذا هممت بسيئة فلم تعملها كَتَبَهَا اللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، وَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً.

أولًا ينبغي أن نعلم أن مراتب القصد خمسة: يعني إذا أردت أن تفعل فعلًا هناك خمس مراتب لهذا:

أولها الهاجس، يعني إذا أردت أن تفعل شيئًا هناك مراتب خمسة قبل أن تفعل هذا الشيء، أولها الهاجس، يعني الخاطر السريع هكذا أنك تفعل هذا الشيء.

ثم الخاطر، بعد الهاجس يصبح خاطر، يصير أقوى شوي.

ثم بعد ذلك حديث النفس، بعد ما يأتي الخاطر يتطور الأمر إلى أن يصبح حديث نفس، تحدثك نفسك بكذا وكذا.

ثم المرتبة الرابعة الهَمّ، كما قال الله عز وجل: **{وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ}** [يوسف:٢٤].

المرتبة الخامسة العزم، وهي المرتبة التي تسبق الفعل مباشرة، خلاص يعني الإنسان العزم، وهي المرحلة التي فيها تهيؤ للفعل، ثم يأتي الفعل.

وقد نظم بعض العلماء هذه المراتب الخمسة في بيتين فقال:

مَرَاتِبُ الْقَصْدِ خَمْسٌ: هَاجِسٌ ذَكَرُوا فَخَاطِرٌ فَحَدِيثُ النَّفْسِ فَاسْتَمِعَا

يَلِيـــهِ هَـــمٌّ فَعَـــزْمٌ كُلُّهَـــا رُفِعَـــتْ   إلا الْأَخِـيرَ فَفِيــهِ الإثم قَــد وَقَعـا

يعني أن كلها، الهاجس وحديث النفس والخاطر والهم، كلها لا يُحاسَب عليها الإنسان إذا همَّ بمعصية، أما إذا عزم فهنا يأثم وإن لم يفعل، لذلك قال.. نعيد البيت الأخير، قال:

يَلِيهِ هَمٌّ فَعَزْمٌ كُلُّهَا رُفِعَتْ ... إلا الْأَخِير، اللي هو العزم، فَفِيهِ الإثم قَد وَقَعا

يعني: لو إنسان أتى وعزم على الفعل يعني ليس بينه وبين الفعل إلا الفعل نفسه أثم، والدليل على ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار**»، فقيل: يا رسول الله هذا القاتل، واضح.. نفهم لماذا دخل النار، فما بال المقتول؟ فقال: «**إنه كان حريصًا على قتل صاحبه**»، فعوقب بهذا العزم رغم أنه لم يفعله، ولم يصده عن هذا الفعل إلا أمر خارج عن إرادته.

فيدخل في ذلك من ذهب ليسرق وعزم على السرقة فوجد حراسة على البيت فخرج، يأثم إثم السرقه، وهكذا.

فإذًا قوله هنا عليه الصلاة والسلام: «**وَإِنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً**»، هذا إذا لم تصل إلى مرحلة العزم، كأن مرحلة الهم أو حديث النفس أو الخاطر أو الهاجس، فطرد هذا الهاجس أو طرد هذا الخاطر وتعوَّذ بالله من الشيطان الرجيم يؤجر على ذلك. واضح؟

أما الذي لم يخطر على باله المعصية هل يؤجر على ترك المعصية؟ لأ لأنه لم يخطر على باله ذلك، أما من جاءه خاطر أو هاجس أو حديث نفس أو حتى هم ولكنه أقلع عن هذا خشيةً من الله فإنه في هذه الحالة يؤجر على ذلك.

ثم قال رحمه الله تعالى: الحديث الثامن والثلاثون

«عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ تعالى عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ اللَّهَ تَعالَى قَالَ»، وهذا أيضًا حديثٌ قدسي، «مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَلَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا،

وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي أعْطَيْتُهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ».

هذا الحديث القدسي العظيم يقول ربنا سبحانه وتعالى فيه: «**مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ**»، أولًا الولي عرَّفه ربنا سبحانه وتعالى فقال: **{أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ}** [يونس:٦٢، ٦٣]، فالولي هو المؤمن التقي.

والولاية مراتب، كلما استزاد الإنسان من الإيمان والتقوى كلما استزاد من ولاية الله عز وجل، وليست الولاية مرتبة محددة مثل مراتب العسكرية مثلًا؛ أن سن معين أو فعل معين أو لحظة معينة تدخلها وتخرج منها. لا؛ كل مؤمن تقي ولي لله، ولكنهم يتفاوتون بحسب تقواهم وبحسب إيمانهم، هذا ما نص عليه كتاب ربنا سبحانه، **{أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ}**، من هم؟ **{الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ}**.

فأذية المؤمنين إعلان للحرب مع الله عز وجل، «**مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ**»، يعني يقول ربنا سبحانه: أي أعلمته بأني محاربٌ له، وما ظنكم بمخلوقٍ حقير يعلن عليه ربُّه سبحانه وتعالى عليه الحرب؟ ماذا تظنون؟ أين يخرج؟ أين يهرب؟ يستنصر بمن؟ إذا أعلن عليك الحرب إنسان لك مخارج؛ ممكن تستعين بإنسان آخر أقوى منه، تتحالف مع آخرين، تهرب، تتخندق، لكن أين تتهرب من الله عز وجل؟ تتحالف مع مَنْ إذا حاربك الله عز وجل؟

لذلك ينبغي على الإنسان أن يبتعد عن إيذاء المؤمنين بلسانه أو بيده أو بأي نوع من أنواع الأذية، «**مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ**».

ثم قال سبحانه: «**وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ**»، يعني أن الله سبحانه وتعالى يحب الفرائض، ودليل محبته أنه فرضها، يعني الفرائض التي فرضها الله عز لولا أنها أحبَّ إليه من غيرها لما فرضها، وبالتالي ينبغي على المسلم أن تكون عنايته بالفرائض أشد من عنايته بالنوافل والسنن.

لذلك يقول سبحانه: «**وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وما يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ**»، إذا أدى الفرائض يُفتتح ميدان النوافل، ويُفتتح السباق فيها.

«**ولا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ**»، حتى يصل إلى المرحلة التي يحبه فيها

ربه سبحانه، وأكرم بها من منزلة؛ لأنك إذا أحبك ربُّك ماذا يحصل لك، قال: «**فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا**»، يعني أنك لا تسمع إلا ما يرضي الله عز وجل ولا تبصر إلا ما يرضي الله عز وجل ولا تفعل بيدك إلا ما يرضي الله عز وجل ولا تمشي برجلك إلا إلى ما يرضي الله عز وجل.

وليس ذلك فقط، بل ستكون مجاب الدعوة، «**وَإِنْ سَأَلَنِي أَعْطَيْتُهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ**»، يعني إذا أحبك ربُّك سبحانه فقد زال عنك كل خطر وزال عنك كل شر بإذن الله، نسأل الله أن يرزقنا وإياكم هذه المنزلة.

الحديث التاسع والثلاثون

«**عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ لِي عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأَ وَالنِّسْيَانَ وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ. حديث حسن رَوَاهُ ابْنُ مَاجَة وَالْبَيْهَقِيُّ وَغَيْرُهُمَا**».

هذا الحديث فيه فضل عظيم فضل الله عز وجل على الإنسان ورحمته أنه تجاوز له عن هذه الأمور.

تجاوز له عن «**الْخَطَأَ**»، و«**الْخَطَأَ**» هو فعل الأمر دون نيةٍ وقصد، هذا الخطأ، أن تفعل شيئًا دون نيةٍ، مثل أن تقول بيدك هكذا فتكسر يدك كأسًا مثلًا، هذا الفعل خطأ لأنك لم تنوِ ولم تقصد هذا الكسر، وهذا معفوٌّ عنه.

ولكن الْخَطَأَ معفوٌّ عنه في الحكم التكليفي وليس الحكم الوضعي، يعني أنك لا تأثم ولكنك تضمن الخطأ. واضح؟ فالخطأ مضمون خصوصًا إذا كان على الآخرين.

«**الْخَطَأَ وَالنِّسْيَانَ**»، «**النِّسْيَانَ**» هو فقد العلم بعد ثبوته، هذا هو النسيان، تعريفه هو فقد العلم بعد ثبوته، يعني كان مرحلة من المراحل موجود عندك العلم ثم فقدته، يُعرَّف هذا الأمر بـ«**النِّسْيَانَ**»، فإذا فعلت شيئًا نسيانًا لا تؤاخَذ، مثل قول النبي عليه الصلاة والسلام: «**من نسي فأكل أو شرب وهو صائم فليتم صومه؛ فإنما أطعمه الله وسقاه**».

«**وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ**»، إذا أُكرهت على أمر فإنك معذور، و«الإكراه» طبعًا له ضوابط، وهذه الأمور تسمى «موانع التكليف» وفيها تفصيل، ومن أراد التفصيل فيها وفي شروطها وأنواعها فليرجع إلى شرح القواعد الفقهية فقد فصَّلتُ فيها هذه الأمور.

﴿شرح متن الأربعين النووية﴾

لفضيلة الشيخ الدكتور

مطلق الجاسر

حفظه الله

المجلس العاشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين

سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

قال: الحديث الأربعون

«عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَنْكِبِي، فَقَالَ: كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ. وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ رضى الله عنهما يَقُولُ: إِذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الْمَسَاءَ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ».

هذه الوصية العظيمة والموعظة البليغة التي وعظها النبي صلى الله عليه وسلم لابن عمر ينبغي أن نعيها، أولًا لاحظوا أين وضع النبي صلى الله عليه وسلم يده؟ قال ابنِ عُمَرَ «**أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَنْكِبِي**»، يعني: وضع يده على منكب ابن عمر.

وهذا فيه أنه ينبغي على المربِّي أو الواعظ أن يتلطف إذا وعظ غيره، لا سيما إذا كان صغير السن، وهذا كثيرٌ في سنة النبي عليه الصلاة والسلام، وهذا يسمى عند التربويين بـ«التواصل الجسدي»، بأن يمسك يده مثلًا وهو يكلمه أو يقبِّله.

وهذا يقولون أن المربِّي أو الأب أو الأم إذا توصل جسديًا مع الطفل قبل النصيحة فإن هذا يضاعف مفعول النصيحة أكثر، يعني إذا حضنت ابنك أو مسكت يده أو وضعت يدك خلف ظهره ثم نصحته فهذا أبلغ في قبول النصيحة من النصيحة المجردة.

وهذا يؤخذ من سنة النبي عليه الصلاة والسلام، والمتتبع لسنة النبي عليه الصلاة والسلام لا سيما إذا وعظ الشباب يجده يفعل ذلك كثيرًا، قال ابن مسعود: علمني النبي صلى الله عليه وسلم التشهُّد ويدي بين كفيه، لاحظ ماسك كف ابن مسعود رضي الله عنهما بيديه عليه الصلاة والسلام ونصحه، وهكذا.

«**قَالَ: كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ**»، «**كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ** » يعني: تصرَّف كتصرُّف الغريب، مثل إنسان يكون في طريق سفر وينزل للراحة في مكانٍ ما، في محطة بنزين مثلًا، هل هذا الإنسان تتوقعون منه أن يبني كوخ مثلًا أو أن يتصرف تصرُّف المقيم؟ الجواب: لا؛ كلما حصل شيء يقول: الآن إن شاء الله دقائق ونمشي، لو كان المكان غير مريح لن يهتم كثيرًا لأنه سيقول إيش؟ دقائق ونمشي، لو كان هناك حر والناس تتذمر يقول: ما علي تحمل

وكلها دقائق ونمشي.

فهذا الشعور – شعور الإنسان بأن هذا المكان سيرحل منه قريبًا – يخفف عنه كثيرًا من مصائب الدنيا. واضح؟ أما من تعلَّق بالدنيا تعلُّق الخالدين كأنه خالد فيها، فهذا يزعجه أي أذى في الدنيا. واضح؟

فقوله عليه الصلاة والسلام: «**كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ**» يعني: لا تتأثر كثيرًا بمصائب الدنيا، كذلك لا تركن إلى الدنيا وتنس الآخرة؛ بل اجعل الدنيا كأنها ممر، دار ممر لا دار مقر.

وزاد ابن عمر من عنده أيضًا وصايا فقال: «**إِذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ**»، يعني: لا تسوِّفْ، الآن مثلًا خطر على بالك أن تطيع الله عز وجل بطاعة.. بذكر.. بقراءة قرآن، لا تقل: بالليل إن شاء الله. لأ؛ إِذَا أَصْبَحْتَ لَا تَنْتَظِرِ الْمَسَاءَ وإِذَا أَمْسَيْتَ لَا تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، يعني: بادر كما قال الله عز وجل: **{وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ}** [آل عمران:133].

«**وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ**»، يعني: إذا رزقك الله الصحة فاستفد من هذه الصحة قبل أن يأتيك يوم تكون فيه مريضًا لا تستطيع أن تطيع الله عز وجل، فخذ من هذه الصحة ما تستطيع من العمل الصالح إلى يومٍ تكون فيه مريضًا لا تستطيع أن تعمل هذا العمل الصالح.

«**وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ**»، يعني: خذ تجهَّز واستعد لموتك في هذه الحياة بالعمل الصالح.

«**رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ**».

قال رحمه الله: الحديث الحادي الأربعون

«عَنْ أَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ. حديث صحيح , رويناه في كتاب الحجة بإسنادٍ صحيح».

كتاب الحجة هو كتاب الحجة على تارك المحجة للشيخ نصر بن إبراهيم المقدسي، وهو كتاب يروي الأحاديث بالأسانيد، هذا الحديث يقول عليه الصلاة والسلام: «**لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ**»، يعني: لا يكمل إيمانه، «**حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ**».

وهذا يؤيده قول الله عز وجل: **{فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا}** [النساء:65]، يعني: ينبغي أن لا يكون في صدرك أي حرج من أي تشريع من تشريعات الإسلام، وإذا كان في صدرك هذا الشيء فاعلم أن إيمانك لم يكمل بعد. لماذا؟ لأنك مفترض أنك تؤمن أن الله هو الخالق وأنه هو العالِم بكل شيء وأنه هو المدبِّر وأنه هو الحكيم، وأن كل أفعاله وكل أوامره وكل نواهيه حكمة. صح؟ وهذه الحكمة قد لا تستطيع أن تستوعبها الآن.

فإذا ما أصابك حرج في أحد التشريعات الإسلامية هذا دليل على أن إيمانك بالله بأنه حكيم ناقص، أو أن إيمانك بأنه عالِم بكل شيء ناقص، فإيمانك يكون في هذه الحالة غير كامل، وهذا أمر منطقي جدًا.

مثل الإنسان إذا دخل على الطبيب وهذا الطبيب يثق به ثقة تامة ويعلم أن هذا الطبيب يحب له الخير وهذا المرض لا يعرف حله ولا دواءه ولا شفاءه إلا هذا الطبيب، إذا دخلت عنده يعطيك هذا الطبيب قائمة بالأدوية، طيب يقول لك: خذ هذا الدواء ثلاث حبات، وخذ من هذا الدواء ثنتين، وامتنع عن أكل كذا وكذا وكذا، تعليمات تأخذها وتخرج، هذه التعليمات منها ما تفهمه ومنها ما لا تفهمه، يعني مثلًا إيش معنى ثلاث حبات يعني؟ ما تستطيع أن تستوعب، وإيش معنى أربع حبات؟ ما تدري، كل اللي تعرفه أن الطبيب هذا ثقة وأني لازم أسمع كلامه. صح؟

فإذا حصل في نفسك حرج وتحرج من هذه الأدوية فمعناه أن ثقتك بهذا الطبيب مهزوزة غير كاملة، ولله المثل الأعلى، ما جاء في الكتاب والسنة من تشريعات كلها من الله وأنت تثق بالله وتؤمن به وأن الله عز وجل عالِم حكيم قدير، ينبغي أن ينعكس هذا الإيمان على تسليمك لما جاء بكلام الله وكلام رسوله.

فإذا كان هواك على خلاف ما جاء في الكتاب والسنة معناه أنك لست مؤمنًا حقًا، لذلك يقول عليه الصلاة والسلام: «**لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ**».

قال: الحديث الثاني والأربعون

«عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ الله تعالى عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «قَالَ اللَّهُ تَعَالَى»، وهذا حديث قدسي أيضًا، «يَا بْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ مِنْكَ وَلَا أُبَالِي»، الله أكبر، يعني الله سبحانه وتعالى يقول: كلما دعوتني أو رجوتني مهما كانت ذنوبك غفرت لك ولا أبالي، لأن الله عز وجل لا معقب لحكمه ولا مستدرك عليه.

«يَا ابْنَ آدَمَ، لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ»، و«**عَنَانَ السَّمَاءِ**» أي: السحاب، يعني السحاب.. بلغت ذنوبك يعني مبلغًا عظيمًا. كم بيننا وبين السحاب من المسافات؟ الطائرة تطير وتطير وتطير بالكاد تصل إلى السحاب، هذا رأسيًا. طيب أفقيًا؟ كمية مهولة، لو كانت كل هذه المسافة لا تسع ذنوبك العظيمة التي فعلتها ولكنك سألت الله بصدق، «لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ»، لا يعجزه شيء ربنا سبحانه وتعالى.

«يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا»، «**قُرَابِ الْأَرْضِ**» يعني ما يقارب حجم الأرض، «بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا، لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً.» ، الله أكبر، وهذا فضل التوحيد وفضل عدم الإشراك بالله عز وجل أنه سببٌ عظيم من أسباب مغفرة الذنوب، نسأل الله أن يرزقنا وإياكم ذلك.

«رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ رحمه الله وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ».

وإلى هنا انتهت الأحاديث الأثنان والأربعون التي ذكرها الإمام النووي رحمه الله، وقد عقَّب الإمام النووي هذه الأحايث بشرح مختصر لمعانيها، ويعني في أثناء الشرح تكلمنا عن هذه واقتبسنا من كلامه رحمه الله فيها.

الآن نأتي الآن إلى تكملة هذه الأحاديث لأن الإمام ابن رجب رحمه الله لما شرح هذه الأحاديث في كتابه العظيم: جامع العلوم والحكم. ضمَّ إليها ثمانية أحاديث ليصبح عددها خمسون حديثًا، ثم شرحها رحمه الله، ونحن نأتي عليها إن شاء الله لنستكمل الخمسين حديثًا.

قال: الحديث الثالث والأربعون

«عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَلْحِقُوا الْفَرَائِضَ بِأَهْلِهَا، فَمَا أَبَقت الفرائض فَلِأَوْلَى رَجُلٍ ذَكَرٍ. رواه الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ».

هذا الحديث أصلٌ من أصول المواريث، وقد سبق معنا في الأربعين أصل من أصول القضاء وهو «البينة على المدعي واليمين على من أنكر»، فذكر الحافظ ابن رجب رحمه الله في هذا الحديث أصلًا من أصول الفرائض

والأصل هذا أن أهل الفرائض يُقَدَّمون؛ لأن الورثة نوعان:

النوع الأول: أصحاب الفروض، يعني الذين لهم فروضٌ مُقَدَّرة، مثل الأم والأب، الأم مثلًا تدور بين السدس والثمن، والأب يدور بين السدس والثلث، والسدس والباقي، ومثل الأخت والزوج والزوجة، كل هؤلاء أصحاب الفروض الذين لهم فروضٌ مُقَدَّرة في كتاب الله، إما نصف أو ربع أو أكثر أو أقل.

القسم الثاني: العصبات، والعصبات هم الذين يرثون ما تبقى من أصحاب الفروض، والعصبات هؤلاء كلهم من أقارب أب الميت، وتفاصيلهم ليس هذا مجالها، لكن هذا الحديث يقول: «**أَلْحِقُوا الْفَرَائِضَ بِأَهْلِهَا**»، يعني أول ما يُعطى من الميراث لأصحاب الفروض، فإن فضل شيءٌ أخذه العصبات أو العاصبون بعد أصحاب الفروض، فإن لم يبق شيءٌ من أصحاب الفروض ليس لأهل العصبة إيش؟ ليس لهم شيء، وتفاصيل ذلك كما قلنا في كتب الفقه.

قال رحمه الله تعالى: الحديث الرابع والأربعون

«عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنها عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: الرَّضَاعَةُ تُحَرِّمُ مَا تُحَرِّمُ الْوِلَادَةُ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ».

وهذا أيضًا الحديث أصل من أصول باب الأنكحة، المحرَّمات من النساء أنواع، منهم محرَّمات تحريمًا مؤبَّدًا وهم نوعان: **تحريمٌ مؤبَّد** إما برضاع أو بنسب، **وهناك محرمات تحريم مؤقت** مثل كل النساء محرمات تحريم مؤقت لمن عنده أربع نساء حتى يطلق واحدةً منهن أو يفارقها، كذلك أخت الزوجة محرَّمة تحريم مؤقت طالما أن الزوجة في ذمته، كذلك عمتها وخالتها إلى آخره، وتفاصيل ذلك في باب النكاح.

الحديث الخامس والأربعون

«عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنهما أَنَّهُ سَمِعَ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَامَ الْفَتْحِ وَهُوَ بِمَكَّةَ يَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ حَرَّمَ بَيْعَ الْخَمْرِ وَالْمَيْتَةِ وَالْخِنْزِيرِ وَالْأَصْنَامِ»، وهذا فيه أن ما حرم استعماله حرم بيعه، هذا أصل من أصول البيع أن كل ما حرم استعماله على الجميع حرم بيعه، وقولنا «على الجميع» يعني: أن ما حرم على البعض دون البعض أنه لا يحرم بيعه، مثل الحرير يحرم على الرجال دون النساء فيجوز بيعه، مثل الحلي كذلك.. مثل لبس الرجال حرام على النساء ولبس النساء حرام على الرجال ومع ذلك يجوز.

أما ما حرم مطلقًا كما هنا الخمر والميتة والخنزير والأصنام حرام فيكون بيعها حرامًا وثمنها حرامًا.

«فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ شُحُومَ الْمَيْتَةِ»، يعني الشحم إذا ماتت الميتة فيها شحم، «فَإِنَّهَا يُطْلَى بِهَا السُّفُنُ وَيُدْهَنُ بِهَا الْجُلُودُ وَيَسْتَصْبِحُ بِهَا النَّاسُ؟»، «**يُطْلَى بِهَا السُّفُنُ**» يعني: يؤخذ من هذه الشحوم ويُسَدُّ بها الثقوب التي بالسفن، كانوا يسدونها بالشحوم لكي تيبس عليها الشحوم فلا تغرق السفن في البحر.

كذلك «**يُدْهَنُ بِهَا الْجُلُود**»، الجلود إذا تُركت فترة تيبس.. تصير كالخشب، لكنهم يدهنونها بالشحم حتى تصبح لينة، «**وَيَسْتَصْبِحُ بِهَا النَّاسُ**» يعني: تُذاب وتكون زيتًا يضيء المصابيح، فقال عليه الصلاة والسلام: «لَا، هُوَ حَرَامٌ»، لأنه ميتة وشحم الميتة نجس.

«ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ ذَلِكَ: قَاتَلَ اللَّهُ الْيَهُودَ؛ إِنَّ اللهَ حَرَّمَ عليهم الشُّحُومَ فأَجْمَلُوهُ ثُمَّ بَاعُوهُ فَأَكَلُوا ثَمَنَهُ».

وهذا فيه النهي عن الحيل لأن اليهود لما حُرِّمت عليهم الميتة أرادوا أن يحتالوا، قالوا: هذا ليس شحمًا، نحن سنحول الشحم إلى زيت.. نذيب الشحم. ويظنون بهذه الحركة أنهم خرجوا من الحرمة، وهذا حيلة من حيل اليهود، لكنهم كما قال عليه الصلاة والسلام «**قَاتَلَ اللَّهُ الْيَهُودَ**» على هذا الحيلة لأن «**اللهَ حَرَّمَ عليهم الشُّحُومَ فأَجْمَلُوهُ**» يعني أذابوه «**ثُمَّ بَاعُوهُ فَأَكَلُوا ثَمَنَهُ**».

الحديث السادس والأربعون

«عَنْ أَبِي بُرْدَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَهُ إِلَى الْيَمَنِ فَسَأَلَهُ عَنْ أَشْرِبَةٍ تُصْنَعُ بِهَا. فَقَالَ: وَمَا هِيَ؟ فقَالَ: الْبِتْعُ وَالْمِزْرُ. فَقِيلَ لِأَبِي بُرْدَةَ: مَا الْبِتْعُ؟ قَالَ: نَبِيذُ الْعَسَلِ، وَالْمِزْرُ نَبِيذُ الشَّعِيرِ. فَقَالَ: كُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ».

وهذا الحديث أصلٌ من الأصول في باب الأشربة؛ فإن أبا موسى سأل النبي عليه الصلاة والسلام عن أشربة كانت تستعمل في اليمن في ذلك الوقت وهي: **الْبِتْعُ وَالْمِزْرُ**، هكذا تسمى، فقيل: **مَا الْبِتْعُ؟ قَالَ: نَبِيذُ الْعَسَلِ**، يعني يُترك العسل في الماء مدة من الزمن ويُحفظ في درجة حرارة معينة وقد يصل إلى حد الإسكار بفعل التخمير، أو الشعير بطريقة معينة بأواني معينة في حرارة معينة.

فالنبي عليه الصلاة والسلام أعطاهم أصلًا ثابتًا من الأصول فقال: «**كُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ**»، يعني إذا وصلت هذه الأشربة إلى حدِّ الإسكار فإنها تكون إيش؟ محرمة، سواء كانت من بتع أو مزر أو غيرها من الأشربة، وهذا أصلٌ عظيم من أصول الإسلام في باب الأشربة.

طيب، وهذا الحديث رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

يقول: الحديث السابع والأربعون

«عَنِ الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ رضي الله تعالى عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: مَا مَلَأَ آدَمِيٌّ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ، بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ أُكُلَاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ، فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالَةَ فَثُلُثٌ لِطَعَامِهِ وَثُلُثٌ لِشَرَابِهِ وَثُلُثٌ لِنَفَسِهِ. رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَهْ، وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: حَدِيثٌ حَسَنٌ».

وهذا الحديث أصلٌ في الطب، يعني اختار الحافظ ابن رجب رحمه الله من كل باب أو من كل مجال من المجالات أصلًا، فهذا أصل في الحمية والطب؛ فقد أرشد النبي عليه الصلاة والسلام أن ملء المعدة أو ملء البطن هو أصل الشر، فمَا مَلَأَ إنسانٌ وِعَاءً قط شَرًّا مِنْ أن يملأ بَطنَه، وهذا أيضًا يقره الأطباء قديمًا وحديثًا أن من أكثر أبواب إدخال السموم أو الأمراض أو الأضرار على جسد الإنسان هو من باب الأكل.. باب الطعام والشراب.

قال عليه الصلاة والسلام: «**بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ أُكُلَاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ**»، يعني: يكفيه «أُكُلَاتٌ» يعني: لقيمات يسيرة يسدُّ بها صلبة أو يقيم صلبه، يعني دون زيادة، «**فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالَةَ**»، يعني: أراد أن يزيد عن ذلك فليقسم معدته إلى ثلاثة أقسام: «**ثُلُثٌ لِطَعَامِهِ وَثُلُثٌ لِشَرَابِهِ وَثُلُثٌ لِنَفَسِهِ**»، يعني يترك ثلثًا فارغًا حتى يتنفس به.

الحديث الثامن والأربعون

«عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا، وَإِنْ كَانَتْ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ فِيهِ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا: مَنْ إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ».

هذا الحديث يتكلم عن النفاق، والنفاق مأخوذٌ في اللغة من «نافق اليربوع»، و«اليربوع» الحيوان المعروف البري يحتال على يعني أعدائه بأن يجعل له أكثر من جحر، فيجعل له جحرًا أو يجعل له مدخل يظهر من بعيد أنه جحر وهو جحر وهمي يوهم به الناس أن هذا جحر حقيقي، ويفتح له جحرًا حقيقيًا ولكن يحفر حتى يترك طبقة يسيرة من التراب، فالذي يراه من الخارج يظن أنه تراب، فإذا هو مخرج خلفي إن صح التعبير لهذا اليربوع، فإذا داهمه خطر في جحره نقر هذا المخرج الخلفي، نقر هذه الطبقة الرقيقة من التراب وخرج وهرب.

هذا يسمى نافقة، ومنه اشتُق النفاق؛ لأن المنافق يظهر خلاف ما يبطن كما أن اليربوع يظهر خلاف الحقيقة؛ يظهر أن هذا الجحر جحره وهو جحرٌ وهميٌّ. واضح؟ فاشتُقَّ النفاق من ذلك.

والنفاق نوعان: نفاقٌ عملي ونفاقٌ اعتقادي، النفاق العملي هو الذي لا يخرج من الملة وإنما يتصف فيه صاحبه ببعض صفات المنافقين التي ذكرها النبي صلى الله عليه وسلم هنا مع بعض الصفات الواردة في بعض الأحاديث الأخرى.

أما النفاق الاعتقادي فهو النفاق المخرِج من الملة، وهو الذي يبطن الإنسان فيه الكفر الصريح، ولكنه يتظاهر بالإسلام، وهذا كان في أول الإسلام أكثر منه في آخره لأن النفاق الاعتقادي لا يظهر إلا في حال قوة المسلمين البدنية والمادية، فما ظهر المنافقون على الساحة إلا بعدما انتشرت دولة الإسلام وهاجر النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة وانتصر على أعدائه ظهر

المنافقون الذين يبطنون الكفر ويظهرون الإسلام.

أما النفاق العملي فهو لا يخرج من الملة لكن فيه صفات من صفات المنافقين ذكرها النبي صلى الله عليه وسلم هنا، قال: «**أَرْبَعٌ مِنْ كُنْ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا**»، يعني المنافق لا يخلو من هذه الصفات، «**وَإِنْ كَانَتْ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ فِيهِ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا: مَنْ إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ**»، المنافق كذاب دائمًا والذي يكذب ففيه شعبة من النفاق أو خصلة من النفاق بقدر كذبه.

والكذب هو طبعًا الإخبار بخلاف الواقع، والنبي صلى الله عليه وسلم حذَّر منه قال: «**إن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار ولا يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يُكتب عند الله كذابًا**».

«**وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ**»، هذه الصفة الثانية من صفات المنافق أنه دائمًا ما يخلف المواعيد، يعد ويخلف موعده، لذلك ينبغي على المسلم أن يحذر من هذه الصفة وأن لا يعد إلا إذا كان مطمئنًا على قدرته على الوفاء بهذا العهد.

«**وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ**»، وهذه الصفة الثالثة من صفات المنافقين أنه يفجر في الخصومة، يعني ليس عنده ما يسمى بـ«شرف الخصومة»، بعض الناس إذا يعني حصل بينك وبينه خصام أو خلاف معين يفتح كل الجبهات – إن صح التعبير – من فضح الأسرار مثلًا والافتراء ونحو ذلك من الفجور.

فالفجور في الخصومة يعني عكس الشرف في الخصومة؛ لأن الإنسان الشريف المؤمن ولو خاصم.. لو حصل خصام بينك وبينه فإنه لا يظلمك.. لا يفتري عليك مثلًا ولا يكشف أسرارك، في يوم من الأيام إذا كنت صديقًا له مثلًا وبينك وبينه أسرار لا يستعملها إذا ما حصلت بينك وبينه خصومة. واضح؟ هذا هو المؤمن.

أما المنافق لا ليس عنده حدود في الخصومة، إِذَا خَاصَمَ معك فَجَرَ، يعني يفتري عليك ما ليس واقعًا ويكشف أسرارًا كانت بينك وبينه مثلًا ويهتك سترك ولا يتعامل معك يعني بشرف الخصومة كما يقولون.

«**وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ**»، إذا عاهدك على أمر من الأمور يغدر مع الأسف، والنبي صلى الله عليه وسلم بيَّن أن لكل غادرٍ لواء يوم القيامة، تُنصب عند إسته، يُقال: هذه غدرة فلان بن فلان، يُفضح على رؤوس الأشهاد بهذا الغدر الذي غدره.

فبالتالي ينبغي على الإنسان أن يتجنب هذه الصفات دقيقها وجليلها.

الحديث التاسع والأربعون

«عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ تعالى عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: لَوْ أَنَّكُمْ تَوَكَّلُونَ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ، تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا. رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ فِي الكبرى كما في التحفة وَابْنُ مَاجَهْ وصححه ابْنُ حِبَّانَ وَالْحَاكِمُ، وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: حَسَنٌ صَحِيحٌ».

هذا الحديث أيضًا أصل في باب التوكل، والتوكل على الله يعني تفويض الأمور إلى الله وتعليق القلب بالله مع الأخذ بالأسباب الدنيوية، هذا هو التوكل، تعليق القلب بالله وتفويض الأمر إلى الله مع الأخذ بالأسباب.

فإذا توكَّل الإنسان على الله، يعني علَّق قلبه بالله سبحانه وتعالى، سواءٌ في تحصيل الرزق والمال أو في علاج الأمراض أو في تحصيل مصالح الدنيا والآخرة، إذا علَّق قلبه بالله وسعى في أسباب هذا الأمر فإنه لا يخذله ربه ويرزقه كما يرزق الطير تَغْدُو خِمَاصًا، و«الغدو» هو الذهاب في أول اليوم.. أول النهار، ذهاب غدوة، «خِمَاصًا» أي: خالية البطن، وَتَرُوحُ بِطَانًا، و«الرواح» هو الرجوع في آخر النهار إلى المنزل، «بِطَانًا» أي: ممتلئة البطن.

والطير إذا خرج فإنه متوكلٌ على ربه سبحانه وتعالى ولا يعني لا يخرج إلى وجهة معينة عنده فيها خبر أن هناك فيه طعام يُوزَّع أو... لأ؛ يذهب متوكلًا على ربه سبحانه، ينطلق، وربه سبحانه وتعالى يرزقه ويعود كل يوم ممتلئ البطن من أرزاق الله سبحانه.

فإذا توكَّل الإنسان على ربه فإنه كما رزق هذا الطير سيرزقه بمشيئة الله.

الحديث الخمسون والأخير

«عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُسْرٍ رضي الله تعالى عنه قَالَ: أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلٌ

فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ شَرَائِعَ الْإِسْلَامِ قَدْ كَثُرَتْ عَلَيْنَا، فَبَابٌ نَتَمَسَّكُ بِهِ جَامِعٌ»، يعني: أعطنا باب نتمسك به جامع، «قَالَ: لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. رواه أَحْمَدُ».

هذا الحديث فيه **أولًا**: حرص الصحابة على الخير وحسن سؤالهم، وسؤالهم عما ينفعهم؛ فإن هذا الصحابي الجليل رضي الله عنه عبد الله بن بسر أراد أمرًا يتشبث به، يعني عبادة أو باب من أبواب الخير يتشبث به في خضم يعني فتن الدنيا ويعني كثرة الشرائع، فأرشده النبي صلى الله عليه وسلم إلى الذكر.

الأمر الثاني من فوائد هذا الحديث أنه لا يستطيع إنسانٌ أن يحيط بكل أبواب الخير، هذا أمر شبه مستحيل، وهذا من حكمة الله عز وجل، الله سبحانه وتعالى جعل الفرائض في متناول الجميع، الصلاة والصيام والزكاة والحج لمن استطاع إليه سبيلًا، تحريم الزنا، تحريم الخمر، كل هذه الأمور في متناول الجميع.

ثم فتح ربنا سبحانه وتعالى باب المنافسة في ما وراء الفرائض، وهي النوافل، وجعلها على سبيل الاستحباب والفضيلة لينطلق الناس، ولكن هذه الفضائل متنوعة؛ هناك مثلًا باب الإحسان إلى الناس والنفقات والصدقات، وهناك باب العلم وتحصيله وحفظه ودرايته، وهناك باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهناك باب الجهاد في سبيل الله، وهناك باب إغاثة الملهوف، وهناك باب الصيام، وهناك باب متابعة الحج والعمرة، وهناك باب تلاوة القرآن.

فأبواب الخير كثيرة ولا يستطيع الإنسان أن يحيط بكل هذه الأبواب، لذلك ينبغي على الإنسان أن يرى في نفسه أي باب من أبواب الخير تناسبه؟ وليضرب في جميع أبواب الخير بسهم وليركز على هذا الباب الذي فُتح له فيه

قد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: من بورك له في شيءٍ فليلزمه، ولذلك ومن حكمة هذا أن جعل الله سبحانه وتعالى للجنة ثمانية أبواب وسَمَّى كل بابٍ بفعل من أفعال الخير، فهناك باب الصيام وهناك باب الجهاد وهناك باب الصلاة وهناك أبواب أُغفلت لا ندري ما هي.

وسئل النبي عليه الصلاة والسلام.. سأله أبو بكر رضي الله عنه قال: يا رسول الله ما على من دخل في أحد هذه الأبواب من ضرورة؟ يعني: الحمد لله هذه الأبواب الثمانية اللي دخلها، دخل

من أي باب من هذه الأبواب ما عليه ضرر، فهل هناك من يدعى من هذه الأبواب كلها؟ فقال النبي عليه الصلاة والسلام: «**نعم وأنت منهم يا أبا بكر**»، أو كما قال عليه الصلاة والسلام.

فبالتالي إذا وجدت نفسك غير مستطير على الإحاطة بهذه الأبواب كلها فاختر لنفسك بابًا واجعل حياتك تدور عليه.. على هذا الباب، واجهد فيه واسأل ربك سبحانه وتعالى التوفيق فيه، مع عدم إغفال بقية الأمور الأخرى، واضرب فيها بسهم ولكن ليكن بابك الذي بإذن الله تدخل الجنة من خلاله هذا الأمر الذي يوفقك الله عز وجل له..

والنبي عليه الصلاة والسلام أرشد هذا الصحابي الجليل إلى باب الذكر، قال: تريد أن تتشبث وأمر تتمسك به وطوق نجاة تنجو به عليك بذكر الله.

وذكر الله عز وجل لا شك أن فضله عظيم، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «**ألا أدلكم على ما تسبقون به من خلفكم وتدركون به من سبقكم وخيرٌ لكم من إنفاق الذهب والورق وخيرٌ لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟**» قالوا: بلى يا رسول الله. قال: «**ذكر الله**».

وقال النبي صلى الله عليه وسلم أيضًا: «**سبق المفرِّدون**» قيل: ومن المفردون يا رسول الله؟ قال: «**الذاكرون الله كثيرًا والذاكرات**».

وأيضًا قال النبي صلى الله عليه وسلم لما لقي إبراهيم عليه السلام، قال إبراهيم: يا محمد أقرئ أمتك مني السلام وأخبرهم أن الجنة حلوة خضرة وأنها قيعان، يعني مساحات خضراء شاسعة، وأن غراسها سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم..

وقال أيضًا عليه الصلاة والسلام: «**كلمتان حبيبتان إلى الرحمن ثقيلتان في الميزان خفيفتان على اللسان: سبحان الله وبحمده.. سبحان الله العظيم**».

إلى آخر الأحاديث العظيمة الدالة على فضل الذكر وفضل الذاكرين، ومن وُفِّق لأن يكون من الذاكرين فقد وُفِّق لخيرٍ عظيم؛ لأن الذكر عبادةٌ يسيرة في اللسان لا تحتاج منك انتقالًا من مكان إلى مكان ولا تحتاج منك هيأةً معينة، بل كما قال الله عز وجل: **{الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ}** [آل عمران:191]، وأنت في السيارة تستطيع أن تذكر الله، وأنت في

انتظار مصلحةٍ ما، وأنت في بيتك، وأنت في عملك، وأنت في الشارع، وأنت في كل مكان تستطيع أن تذكر الله سبحانه وتعالى، فمن تمسك بهذا الأمر فقد تمسك بخيرٍ عظيم.

نسأل الله سبحانه وتعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العلا أن يجعلنا وإياكم من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات وأن يجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

بهذا نكون أتممنا هذا الشرح الذي أسأل الله عز وجل أن ينفعنا وإياكم به في الدنيا والآخرة، هذا والله أعلم وصلى الله وسلَّم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.